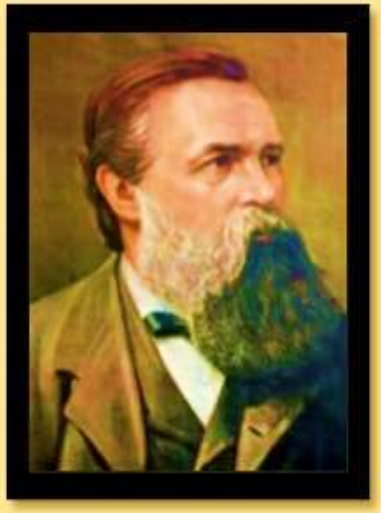

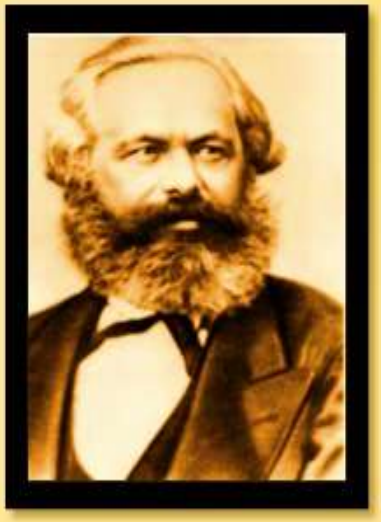

الشرارة

من الشرارة يولد اللهيب

بناء الأحزاب الماركسية ـ اللينينية

السياقات، السيرورات، الأفكار والتجارب

علي محمود

العدد العاشر (عدد خاص)

أكتوبر 2022

الحزب البلشفي

الحزب الشيوعي الصيني

الحزب الشيوعي الفيتنامي

القسم الأول

I - الإسهامات الأساسية لكارل ماركس (1818 - 1883) و فردريك انجلز (1820 - 1895) في نظرية الحزب الثوري

تقديم:

إن مسألة بناء الحزب الثوري الماركسي – اللينيني لذات راهنية في زماننا الملتهب هذا، حيث تتوسع رقعة الانتفاضات والتمردات باستمرار، في ظل أجواء الأزمة البنيوية العامة للرأسمالية، التي تزداد تعفنا وانحلالا إلى الحد الذي أصبحت خطرا محدقا بالبشرية والطبيعة.

هكذا، و عندما اعتقد المرتدون التحريفيون من كل صوب و أبواق النظام الامبريالي و كلاب حراسته و مثقفوه المزيفون، أن الماركسية قد تم إقبارها إلى الأبد، و انتهى التاريخ إلى توافق بين الرأسمالية و الليبرالية و الديموقراطية البورجوازية، و ذلك كأفق وحيد للبشرية، بما يعني أن الاستغلال و الاضطهاد قدر أبدي يطارد خطى البشرية جمعاء، و أن الرأسمالية نظام أبدي فوق التاريخ غير قابل للتجاوز، و كل محاولة للقيام بذلك محكوم عليها مسبقا بالفشل، و وجد منظرو الرأسمالية الجدد في سقوط التجارب الاشتراكية مثالا على ادعاءاتهم، وأصبحت الليبرالية وديموقراطيتها الشكلية دينا جديدا مفروضا على شعوب العالم، وأمسى توكفيل بطلا من الأبطال المبجلين،بينما تحول ماركس العظيم عند المثقفين الماركسيين السابقين المزيفين إلى مجرد شبح مخيف، يتلون كل تعاويذهم لمنعه من عودته إلى الظهور، نقول لأمثال هؤلاء هيهات ثم هيهات، لقد ولدت الماركسية من رحم المجتمع الرأسمالي لتحطمه، وتفتح الطريق لمجتمع جديد يتحرر فيه الإنسان من

الاستغلال والاضطهاد والاستيلاب والتمييز الجنسي، بعدما يتم القضاء على كل الأنماط والأشكال والأدوات المكرسة لذلك (الدولة، نمط الإنتاج وعلاقات الإنتاج، الاضطهاد القومي و النظام الاجتماعي الباتريارکي).

لم يمض وقت طويل على ذلك الزمن، الذي احتفل فيه أنصار الاستغلال والاضطهاد في كل مكان بانتصارهم المزعوم على الماركسية، النظرية الثورية الوحيدة القادرة على رد أسلحتهم إلى نحورهم، وفتح طريق الثورة من جديد، حتى عاد شبح الشيوعية المخيف للرأسماليين في القرن 19، كما يقول البيان الشيوعي، واليوم، فإن شبح الماركسية – اللينينية يطوف فوق رؤوس كل المستغلين الرأسماليين وأنظمتهم عبر العالم.

ويعتمد مستغلو العالم على دعم أنصار "حرية النقد"، التي يحملها ماركسيو الأمس في هجومهم السافر على ماركس و لينين و ستالين و ماو، في سعيهم المسعور إلى تحويل الحركات الثورية و الأحزاب الشيوعية الثورية إلى أحزاب إصلاحية و ليبرالية، وذلك بأساليب ومناهج مختلفة وبشعارات متنوعة وبتكتيكات مختلفة، لكن الهدف واحد: إسقاط المشروع الشيوعي الثوري بضرب النظرية التي تحمل في طياتها هذا المشروع ...

لقد كان الهجوم على الماركسية شاملا لم يترك مجالا إلا واقتحمه في محاولة لضرب النظرية الثورية، فصدرت مئات الكتب والمقالات، خاصة في اللغات المهيمنة على العالم، فأصبحت الترهات والتخاريف والتشويهات والأضاليل بمثابة حقائق ساطعة تدعي العلم والمعرفة الموضوعية. لكن ماركس يأبى إلا أن ينبثق من خارج غبار هاته الكتل الضخمة من الأكاذيب المنسوجة حول النظرية الماركسية، فانبرى تلاميذ ماركس المخلصين وأنصار الحقيقة الثورية للدفاع عن ماركس وعن تراثه، فجاء الرد شاملا، وبدأت الماركسية تحقق انتصارات جديدة في مجالات مختلفة، مثل الفلسفة و الأنتروبولوجيا والبيولوجيا والفيزياء والإيكولوجيا وعلم التاريخ والاقتصاد السياسي وعلاقة الماركسية بالمستعمرات وغيرها ...

ولا زال هذا الباب ناقصا وفي بدايته من حيث التطرق إلى علم السياسة والسياسي في علاقته بالتنظيمي، مما يعني الانتقال إلى إعادة الاعتبار إلى لينين منظر ومؤسس الحزب الثوري من طراز جديد، بعدما تم الانتقال من ماركس إلى لينين في عصر الانتقال إلى المرحلة الامبريالية، وانفجار الحروب البينية الامبريالية، لتظهر اللينينية كنظرية للثورة العالمية في عصر الامبريالية وانتصار الثورة الاشتراكية.

إن التصدي لهذه المهمة يستدعي إعادة الاعتبار لموقع النظرية الثورية في بناء الحزب الماركسي – اللينيني الطليعي، فلا التجريبية والعفوية والفوضوية ولا الدوغمائية قادرة على الاضطلاع بهذه المهمة التاريخية، فلن تعوض الدوغمائية أهمية التحليل العلمي الموضوعي، لأنها نظرية جوفاء وفارغة من أي مضمون، وجوهر الماركسية – اللينينية يتلخص في "التحليل الملموس للواقع الملموس" كما يقول لينين.

لقد نشأ الحزب الماركسي الثوري، هذا السلاح الضروري لإنجاز الثورة البروليتارية، من الصراعات الطبقية خلال ما يزيد عن 170 سنة مضت، ولذلك، وجبت دراسة نشأته وتطوره التاريخي كسيرورة جمعت بين النظرية والممارسة من خلال التطبيق الخلاق للمادية الجدلية والمادية التاريخية، ولذلك نعتبر أن هذه النشأة جاءت كوحدة جدلية للممارسة والنظرية، وحدة تخضع بطبيعة الحال إلى قانون التناقض المادي الجدلي كمحرك للتطور والتبلور.

1) السياق العام

في الفترة الممتدة بين 1830 و 1850، عرفت أوروبا الغربية، خاصة في بريطانيا و فرنسا، و ألمانيا بشكل متأخر، انطلاق مرحلة كبيرة من التصنيع الرأسمالي، كانت له نتائج هائلة على المستوى الاجتماعي و الاقتصادي، و هو ظاهرة صاحبت

النظام الرأسمالي منذ فترته الأولى، و سنجد لدى كارل ماركس و فردريك انجلز من خلال كتابهما "البيان الشيوعي"، الذي جاء تفعيلا لطلب من "عصبة الشيوعيين"، التي كانا ينتميان لها، و ذلك في نونبر 1847، ليكون بمثابة برنامج نظري و عملي مفصل للعصبة (اعتبرت العصبة تاريخيا نواة أول حزب ماركسي) وصفا و أول تحليل للظاهرة الاجتماعية و الاقتصادية المميزة و المرافقة لتطور الرأسمالية منذ بدايتها الأولى، تلك الظاهرة التي نتج عنها انبثاق البروليتاريا كطبقة جديدة على مسرح التاريخ، ستصبح الطبقة الاجتماعية النقيضة للبورجوازية، و التي تحمل مشروعا تاريخيا للتحرر الإنساني من الاستغلال و الاضطهاد القومي، عبر بناء المجتمع الاشتراكي على طريق الشيوعية كهدف أسمى، و عن هذه الطبقة يقول مؤلفا البيان الشيوعي ما يلي :

"إن الأسلحة التي استخدمتها البورجوازية من أجل القضاء على الإقطاعية ترتد اليوم ضد البورجوازية نفسها.

لكن البورجوازية لم تصهر فقط الأسلحة التي ستؤدي إلى موتها، بل أنتجت الناس اللذين سيستعملون هذه الأسلحة، إنهم العمال الحديثون، البروليتاريون.

وبقدر ما تكبر البورجوازية، أي الرأسمال، تتطور البروليتاريا كذلك، طبقة العمال الحديثين، اللذين لا يعيشون إلا شريطة أن يجدوا عملا، و لا يجدونه إلا إذا كان عملهم ينمي الرأسمال ..." "البيان الشيوعي".

بعد ذلك، تطرق مؤسسا الماركسية والاشتراكية العلمية إلى سيرورة تطور هذه الطبقة الاجتماعية التي أنتجتها الرأسمالية:

"لقد مرت البروليتاريا بفترات مختلفة من التطور، فنضالها ضد البورجوازية ابتدأ مع وجودها نفسه.

لقد خيض النضال في بدايته من طرف عمال معزولين، بعد ذلك من طرف عمال نفس المصنع، ثم من طرف عمال قطاع صناعي في نفس المكان، ضد البورجوازي الذي يستغلهم مباشرة. إنهم لا يوجهون هجوماتهم فقط ضد العلاقات البورجوازية للإنتاج، بل ضد أدوات الإنتاج نفسها، يدمرون السلع الأجنبية، التي تنافسهم، يكسرون الآلات، يحرقون المصانع ويحاولون استعادة الوضع المفقود لحرفيي القرون الوسطى. شكلت البروليتاريا في هذه المرحلة جماهير منتشرة عبر البلاد ومفتتة عن طريق المنافسة، وإذا حصل أن العمال يتضامنون فيما بينهم عن طريق عمل جماهيري، فليس هذا بعد نتيجة وحدتهم الخاصة ...

و الحال أن تطور الصناعة، لا ينمي فقط عدد البروليتاريين، بل يمركزهم كجماهير أكثر حجما، تزداد قوة البروليتاريين و يكتسبون وعيا أكثر ... تصبح الأجور غير قارة أكثر فأكثر، الإتقان المستمر و أكثر سرعة للآلة دائما، يجعل ظرف العامل هشا أكثر فأكثر، تأخذ الاصطدامات الفردية بين العامل و البورجوازي طابع اصطدام بين طبقتين أكثر فأكثر، ويبدأ العمال بتشكيل ائتلافات ضد البورجوازيين من أجل الدفاع عن أجورهم، و قد وصل بهم الأمر حد تكوين جمعيات دائمة ليكونوا جاهزين للتمردات الطارئة هنا و هناك، و ينفجر النضال على شكل عصيان، و ينتصر العمال بعض المرات لكنه انتصار عابر. إن النتيجة الحقيقية لنضالاتهم، تكمن ليس في الانتصار المباشر، بل في الوحدة المتصاعدة للعمال. لقد سهل نمو وسائل الاتصال هذه الوحدة، التي تخلقها الصناعة الكبيرة، والتي تسمح للمناطق المحلية المختلفة للاتصال فيما بينها. والحال أنه يكفي أن يتم هذا الاتصال لتتحقق مركزة النضالات المحلية العديدة، التي تأخذ نفس الطابع في كل مكان، لتأخذ طابعا وطنيا ونضالا طبقيا. لكن كل نضال طبقي هو نضال سياسي، والوحدة التي حققها بورجوازيو القرون الوسطى، التي استغرقت قرونا، عبر طرقهم المحلية، حققها البروليتاريون

الحديثون في بضع سنوات بفضل السكك الحديدية. إن هذا التنظيم للبروليتاريا في طبقة، وبالتالي في حزب سياسي يتحطم باستمرار بدون توقف من جديد من طرف المنافسة، التي يقوم بها العمال فيما بينهم، لكنه يولد من جديد أكثر قوة وحزما وشدة ...".

وينهي ماركس و انجلز هذا الفصل (بورجوازيون و بروليتاريون) من كتابهما "البيان الشيوعي" بفقرة تسمح بتكوين فكرة صحيحة عن الظروف التاريخية التي نشأ فيها أول مفهوم ل "الحزب الشيوعي":

"إن وجود الطبقة البورجوازية وسيطرتها مشروط بشرط أساسي، وهو تراكم الغنى في يد أفراد، إن تكون الرأسمال و نموه، شرط وجود الرأسمال، هو العمل المأجور. إن العمل المأجور يرتكز بشكل خاص على المنافسة بين العمال أنفسهم. إن تقدم الصناعة، التي تشكل البورجوازية ناقلته السلبية واللاواعية، يعوض شيئا فشيئا عزلة العمال الناشئة عن المنافسة، عن طريق وحدتهم الثورية بالتكتل في جمعية. هكذا، فإن تطور الصناعة الكبيرة ينسف من تحت أقدام البورجوازية، تلك الأرضية التي بنت فوقها نظام إنتاجها واستملاكها. إن البورجوازية تنتج قبل كل شيء حفار قبرها، سقوطها وانتصار البروليتاريا هما أمران لا يمكن تلافيهما".

و في فصل آخر من " البيان الشيوعي" (بروليتاريون و شيوعيون) يقول ماركس و انجلز :

"... إن الشيوعيين لا يشكلون حزبا متميزا معارضا للأحزاب العمالية الأخرى".

لكنهم يتميزون بما يلي:

"ليس لهم مصالح خاصة تفصلهم عن مجموع البروليتاريا، ولا يرسون مبادئ خاصة، يريدون على أساسها تشكيل الحركة العمالية.

إن الشيوعيين لا يتميزون عن باقي الأحزاب العمالية إلا على أساس نقطتين:

1- في مختلف النضالات القومية للبروليتاريين، فإنهم يضعون في المقام الأول، ويؤكدون على المصالح المستقلة عن القومية والمشتركة بين كل البروليتاريا.

2 – في مختلف الفترات التي يقطعها الصراع بين البروليتاريا والبورجوازية، يمثلون دائما مصالح الحركة في شموليتها. عمليا، فالشيوعيون هم الفئة الأكثر حزما في الأحزاب العمالية في كل البلدان، الفئة التي تحفز الآخرين. نظريا، فإن لهم عن باقي البروليتاريا ميزة الإدراك الواضح للظروف والمسار والغايات العامة للحركة البروليتارية.

إن الهدف المباشر للشيوعيين هو نفسه لدى الأحزاب البروليتارية الأخرى: تشكل البروليتاريين كطبقة، قلب السيطرة البورجوازية

والاستيلاء على السلطة السياسية من طرف البروليتاريا ...".

هكذا، وضعت في سنة 1848 أسس نظرية حزب الطبقة العاملة، وذلك بالاعتماد على أربعة مبادئ:

المبدأ الأول: الحزب الثوري هو حزب أممي، أي يستلهم مبادئ الأممية البروليتارية.

المبدأ الثاني: إن هدف هذا الحزب الثوري هو القضاء على السيطرة البورجوازية والقيام بالثورة.

المبدأ الثالث: إن الحزب الثوري هو طليعة البروليتاريا.

المبدأ الرابع: سلاح الحزب الثوري هو النظرية الثورية.

تلك هي المبادئ التي سطرها ماركس و انجلز لتكون الموجه الأساسي في بناء الحزب الثوري، و قد كانت تتويجا لتجربتهما في "العصبة الشيوعية" التي جاء "بيان الحزب الشيوعي" كبرنامج نظري و عملي لها.

وستنتهي مرحلة "العصبة الشيوعية" بحكم تناقضاتها الداخلية، وبحكم القمع الذي تعرضت له على أيدي مجموعة من الدول التي حاربت العصبة، وكذلك بسبب فشل ثورات 1848، التي سميت بربيع الشعوب بسبب خيانة البورجوازية (حالة ألمانيا) وبسبب قلة تجربة وضعف البروليتاريا (حالة فرنسا).

ستختفي "العصبة الشيوعية" نهائيا بعد "محاكمة كولونيا"، التي مثل أمامها ماركس والعديد من الشيوعيين، والتي قدم فيها ماركس مداخلة تاريخية أربكت القضاة وأدت إلى تبرئته وتبرئة العديد من الشيوعيين، وتخفيف الأحكام عن الباقي.

وقد جاء في كلام لماركس حول المرحلة الممتدة من 1848 إلى 1864 (تأسيس الجمعية الأممية للعمال في 28 شتنبر 1864):

"أيها العمال!

إنه لواقع رئيسي أن بؤس الجماهير العمالية لم ينقص من 1848 إلى 1864، إنه في هذه المرحلة، التي مع ذلك تتميز من بين أشياء أخرى، بتطور لا مثيل له للصناعة، وبنمو أقل للتجارة ..." (كارل ماركس، الأعمال، مكتبة لا بلياد، المجلد 1، ص 459، 1965).

2) ماركس – انجلز والأممية الأولى و كومونة باريس

بالفقرة أعلاه، ابتدأ "النداء الافتتاحي" الذي حرره كارل ماركس في أكتوبر 1864، أي شهرا بعد التجمع العمالي الأممي في سانت مارتنزهال بمدينة لندن، ذلك التجمع الذي تقرر فيه تأسيس "الجمعية الأممية للعمال"، التي ستعرف باسم الأممية الأولى. كان هذا النداء مرفوقا بالقانون الأساسي المؤقت للجمعية، الذي ساهم ماركس في صياغته وخاض صراعا قويا ضد مختلف العناصر المشاركة في الصياغة وذات الميول المختلفة، وخاصة ضد من أسماهم **"هؤلاء الحمير البرودونيون"**.

يتكون القانون الأساسي المؤقت من عشرة فصول لم تحمل جديدا مقارنة بنص "البيان الشيوعي"، بل هناك نوع من التراجع، ومن هذه الفصول التي تهم موضوعنا، هناك فصلان:

ـ الفصل الأول:

"لقد تم تأسيس الجمعية لخلق نقطة مركزية للتواصل والتعاون بين مختلف الجمعيات العمالية من مختلف البلدان الطامحة إلى نفس الهدف، وهو التعاون الأخوي المتبادل، التقدم والتحرر الكامل للطبقة العاملة".

- الفصل السابع:

"بما أن نجاح الحركة العمالية في كل بلد لا يمكن ضمانه إلا بالقوة الناتجة عن الاتحاد و التشارك : - من جهة أخرى، فعمل المجلس العام سيكون أكثر فعالية إذا، بدل المراسلة مع مجموعة من الجمعيات المحلية الصغيرة، المعزولة عن بعضها البعض، بإمكانه أن يكون في علاقة مع بعض المراكز القومية الكبرى للجمعيات العمالية- بهذه الأسباب فإن أعضاء الجمعية الأممية يجب عليهم بذل كل إمكانياتهم لتجميع الجمعيات العمالية، التي لا زالت معزولة، و المنتمية لبلدانهم الخاصة في جمعيات قومية ممثلة بهيئات مركزية، و غني عن القول أن تطبيق هذا الفصل مرتبط بالقوانين الخاصة بكل بلد، و بغض النظر عن الحواجز القانونية، فكل جمعية محلية مستقلة لها الحق في أن تراسل المجلس العام مباشرة" .

إن قراءة بسيطة للفصلين أعلاه تظهر أن مسألة المركزة على مستوى الجمعية الأممية حاضرة، لكن احترام الشرعية في الدول المختلفة، التي ينتمي لها الأعضاء سيهدد بشكل جدي فعالية هذا المبدأ، و رغم أن القانون الأساسي للأممية قد تمت المصادقة عليه بشكل نهائي في المؤتمر الأول للأممية سنة 1866، بعد إضافة ثلاثة فصول جديدة، مخصصة للاستقلالية التنظيمية لكل جمعية منتمية إلى الأممية، و كذلك مراجعة القانون الأساسي في كل مؤتمر، فإن هذا القانون، و خاصة الفصل السابع، سيصبح نقطة خلاف بين الإيديولوجيات الحاضرة في الأممية الأولى.

خمس سنوات بعد ذلك، قدمت كومونة باريس بعد فشلها مجموعة من الدروس والتعاليم لكارل ماركس و انجلز، مما سهل عليهما مهمة استخلاص مبادئ أساسية حول مسألة الدولة، و علاقتها بدكتاتورية البروليتاريا، و أثر ذلك على مسألة الحزب، و هذا أمر قليلا ما انتبه إليه ماركسيو القرن 19، باعتباره تقدما على المستوى النظري، مما كان له الأثر الوخيم على المدى البعيد بالنسبة لمستقبل الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية، التي ستتأسس بعد نهاية الأممية الأولى.

قبل انطلاق كومونة باريس، كان ماركس ينصح العمال البارزين بخلق حزب بروليتاري صلب، وفي نفس الوقت حذرهم ضد القيام بانتفاضة سابقة لأوانها. لكن عندما انطلقت ثورة الكومونة في 18 مارس 1871، وأصبحت واقعا مفروضا ساندها ماركس و انجلز بكل قواهما، حتى و إن ظلا مقتنعين بفشلها المحتوم. لقد كان الفرع الفرنسي للأممية الأولى ضعيفا جدا من كل الجوانب، في الميدان التنظيمي كما في المجال النظري، و بالتالي لم يكن بوسعه القيام بقيادة خاصة للطبقة العاملة في فرنسا، و نفس الحال بالنسبة للمنظمات العمالية الأخرى، لكن مع ذلك، فمناضلو الفرع الأكثر تقدما اتبعوا توجيهات ماركس، كان البعض منهم ينتمي إلى قوميات أخرى، و تحملوا مسؤولية وظائف قيادية إلى جانب البلانكيين و البرودونيين، و سقطوا أبطالا في معركة الدفاع عن الكومونة، مثال أوجين فرلان، و بعض منهم استطاع الإفلات من القمع أمثال ليو فرانكيل و أوغوست سيرايي.

بعد ستة أشهر من المجزرة الدامية التي تعرض لها الكومونيون، نظمت الأممية الأولى ندوة سرية في لندن من 17 إلى 23 شتنبر 1871، ذلك أن القمع البوليسي لم يكن يسمح بعقد مؤتمر عادي للأممية، لكن الباكونينيين قاموا باحتجاجات، معتبرين أن عقد هذه الندوة بدل ومكان المؤتمر يشكل خرقا للقانون الأساسي للأممية ورفضوا الاشتراك في الندوة.

وعلى العكس من ذلك، قام ماركس و انجلز بدفع الندوة إلى مناقشة دروس وتعاليم كومونة باريس، مركزين بشكل أساسي على النضال السياسي للبروليتاريا، وعلى دكتاتورية البروليتاريا، و حول دور الحزب الثوري في الثورة، و صادقت الندوة في الأخير على قرار رئيسي حول ضرورة خلق حزب سياسي للبروليتاريا في كل بلد، حزب مستقل عن كل التشكيلات البورجوازية و البورجوازية الصغيرة.

خلال الأشهر التي تلت، قام الفوضويون خاصة في سويسرا، المنتمون إلى الفدرالية المسماة ب "الجوراسيون" بمهاجمة قرارات المجلس العام بعنف، مطالبين بقلب "دكتاتورية قيادة الأممية"، لقد كانوا أعداء لكل انضباط بشكل منهجي، مطالبين باستقلالية الفروع القومية، ورافضين لكل بنية تنظيمية ممركزة، و في انتظار القضاء على الدولة المستغلة، كانوا يتبنون "اللاسياسة" كما فعل البرودونيون قبل ذلك، و يقدمون أنفسهم كأناس "مضادين للسلطة" (اللاسلطويون) في صراع ضد "السلطويين" و على رأسهم ماركس و انجلز حسب زعمهم.

وسيقوم مجموعة من هؤلاء يتقدمهم غيوم، باكونين و الجوراسيون بتأسيس أممية "لا سلطوية" في شتنبر 1873 في مدينة جنيف، لكن هذه الأممية المزعومة تفككت سنة 1881 نتيجة صراعاتها الداخلية.

و أمام الاتهامات و التشويهات التي تعرضا لها، جاء رد ماركس و انجلز حاسما و صارما و منتصرا، فمن 2 إلى 7 شتنبر 1872 انعقد المؤتمر الخامس للأممية الأولى في مدينة لاهاي، حيث كرس انتصار فكر العظيمين ماركس و انجلز، اللذان ستسيطر أفكارهما على المؤتمر الخامس، و جاء ذلك بعد معركة فكرية و سياسية تاريخية، هزم خلالها الفوضويون، اللذين سيقوم المؤتمر بطردهم في شخص باكونين و غيوم و فئة الجوراسيين، و جاء الانتصار باهرا عندما جاء وقت التصويت على إدخال فصل جديد (7 أ) إلى القانون الأساسي، حيث جاء التصويت لصالح ماركس و انجلز ب 29 صوتا ضد 5 و 8 ممتنعين.

لقد شكل هذا الانتصار خطوة إلى الأمام في المفهوم الماركسي لحزب البروليتاريا، الذي تدعم وتعمق نتيجة استخلاص الدروس السلبية لتجربة كومونة باريس. وجاء التعديل مطابقا حرفيا لما جاء في قرار "حول العمل السياسي الضروري للطبقة العاملة"، الذي تمت المصادقة عليه سنة من قبل في الندوة السرية بلندن.

وجاء في الفصل 7 أ ما يلي:

الفصل 7 أ:

"في نضالها ضد السلطة الجماعية للطبقات المالكة، لا تستطيع البروليتاريا أن تعمل كطبقة إلا إذا تكونت كحزب سياسي متميز، معارض لكل الأحزاب القديمة، التي شكلتها الطبقات المالكة. إن هذا التشكل للبروليتاريا كحزب سياسي لضروري من أجل ضمان انتصار الثورة الاجتماعية وهدفها الأسمى: القضاء على الطبقات. إن ائتلاف القوى العمالية، الذي كان قد تم تحقيقه بالنضال الاقتصادي، يجب أن يستخدم كرافعة في أيدي هذه الطبقة في نضالها ضد سلطة مستغليها.

إن الاستيلاء على السلطة السياسية يصبح أكبر واجب على البروليتاريا، فأسياد الأرض والرأسمال، يستخدمون دائما امتيازاتهم السياسية من أجل الدفاع عن احتكاراتهم الاقتصادية وإدامتها واستعباد العمل".

هكذا، فمن مفهوم "البيان الشيوعي" (1848) القائل إن "الشيوعيين لا يشكلون حزبا متميزا معارضا لكل الأحزاب الأخرى التي شكلتها الطبقات المالكة"، حصل تطور هائل لنظرية الحزب البروليتاري عبر نضال مرير ضد الخطوط البورجوازية والبورجوازية الصغيرة داخل الطبقة العاملة، وذلك وصولا إلى الفصل 7 أ، الذي كرس انتصارا ساحقا للفكر الماركسي داخل الأممية الأولى بعد 24 سنة من صدور "البيان الشيوعي".

بعد التجربة الأولى في "عصبة الشيوعيين"، التي تأسست في يونيو 1847 في لندن، والتي توجت بصدور "بيان الحزب الشيوعي" في 1848، انحلت سنة 1852 بعد فشل ثورات 1848، التي استخلص ماركس و انجلز دروسها، وعرفت الأممية الأولى نهايتها كذلك كتجربة ثانية من مستوى أعلى في 1876، بعد عشر سنوات من التأسيس، الذي كان سنة 1864. لم

تكن التجربة فشلا بقدر ما وفرت جيلا جديدا من مناضلي الحركة العمالية العالمية وطلائعها الثورية، فانطلقت مرحلة جديدة في تاريخ الحركة العمالية، معلنة انتشار الفكر الماركسي وسط الطبقة العاملة وتأسيس الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية في كل مكان. وكما قال لينين فإن:

"الأممية الأولى وضعت أسس النضال البروليتاري الأممي من أجل الاشتراكية"

"إنها لا تنسى، إنها خالدة في تاريخ نضالات العمال من أجل تحررهم"

وبعد الأممية الأولى، كان على الحركة العمالية العالمية ونظريتها الماركسية الثورية أن تمر من مراحل جديدة خاضت فيها معارك فكرية وسياسية ضد الإيديولوجيات البورجوازية والبورجوازية الصغيرة، وخبرت دروسا جديدة استمدتها من المعارك النضالية التي خاضتها قبل الوصول إلى مرحلة جديدة أخرى، أصبح فيها بالإمكان ظهور نظرية لينين حول الحزب من طراز جديد، والتي أدت إلى أول انتصار للبروليتاريا في التاريخ، ونعني ثورة أكتوبر البلشفية سنة 1917.

المراجع:

<u>باللغة العربية:</u>

1)كارل ماركس، فرانز مهرينغ

2)خبرة سنوات 48-51، كارل ماركس

3)تاريخ الثورة الفرنسية، ألبير سوبول

4)الثورات السياسية: المفهوم والأبعاد

5)بيان الحزب الشيوعي، كارل ماركس وفردريك انجلز

6)عريضة المجلس المركزي إلى عصبة الشيوعيين، كارل ماركس

7)الثامن عشر من برومير، كارل ماركس

8)موضوعات حول المادية التاريخية، علي محمود

9)الحرب الأهلية في فرنسا، كارل ماركس

10)ماركس ونقده للسياسة، أندري توزيل، إتيان باليبار، سيزارلويوديني

11) مقدمات لدراسة البيان الشيوعي، ف . هـ

En français

1) **Les luttes de classes en France, Karl Marx**
2) **Histoire de la révolution de 1848, Daniel Stern**
3) **Lénine, Marx, Engels (la commune, l’état, le parlementarisme**

4) **La gazette rhénane (partie1-2-3)**
5) **1844, Le jeune Marx devant 2 mouvements sérieux, Rene Merle**
6) **Marx, de la révolution partielle et de la révolution radicale, Rene Merle**
7) **Introduction à la guerre civile en France, Frederic Engels**
8) **Quelques mots sur l'histoire de la ligue des communistes, Frederic Engels**
9) **Les révolutions de 1848 et le prolétariat, Karl Marx**
10) **Révolution et contre – Révolution en Allemagne, Frederic Engels**
11) **Les journées de juin 1848, Frederic Engels**
12) **La nouvelle Gazette Rhénane (la révolution de juin, Karl Marx)**
13) **Statuts de la ligue des communistes**
14) **Karl Marx, sa vie, son œuvre, Henri Lefebvre**
15) **La pensée de Karl Marx, Henri Lefebvre**

القسم الثاني

تقديم

استمرت "الجمعية الدولية للعمال" بقيادة كارل ماركس و فردريك انجلز في النضال ضد الإيديولوجيا الفوضوية و أنصارها، و ذلك إلى حدود الحل الذاتي للجمعية بتاريخ 15 يوليوز 1876.

في 12 شتنبر 1874، وجه انجلز رسالة إلى سورج عضو المجلس العام النيويوركي، يقول فيها:

"لقد أعطت الأممية عشر سنوات من التاريخ الأوروبي من ناحية معينة، من ناحية المستقبل، وبإمكانها أن تنظر بافتخار إلى الوراء إلى إنجازها، لكنها ظلت باقية على قيد الحياة في شكلها القديم. أعتقد أن الأممية المقبلة ستكون، بعد أن تعمل مؤلفات ماركس خلال بعض السنوات، شيوعية مباشرة، وستغرس مبادئنا".

يتعلق الأمر هنا بمقاربة نقدية لانجلز حول تجربة الأممية الأولى، ونجد أن الجزء الأول من أفكاره يسجل حقيقة تاريخية، تتعلق بتقدير تأثير كتابات ماركس لاحقا، وبطبيعة الحال أفكار انجلز. ومن باب الملاحظة التاريخية فإن الأفكار الواردة في هذه الكتب لن تعود إلى الظهور إلى الحركة العمالية إلا بعد الانتصار العظيم، الذي حققه لينين سنة 1903 في المؤتمر الثاني للحزب العمالي الديموقراطي الاشتراكي لروسيا، من أجل بناء حزب من طراز جديد. وقبل ذلك ظلت الأفكار الاشتراكية الديموقراطية النابعة من الأحزاب الاشتراكية المنضوية في الأممية الثانية، التي تأسست في باريس سنة 1889، متأرجحة وبدون مقاومة حقيقية، ذلك أن المرحلة الطويلة للتطور السلمي للرأسمالية داخل البلدان المسماة متحضرة كان لها تأثير سلبي من حيث تراجع وجزر الحركة الثورية، التي كان قد راهن عليها ماركس و انجلز.

وتتطرق الرسالة أعلاه في جزء آخر منها إلى أشياء ذات أهمية، حيث كتب انجلز أنه:

"لقد تخلينا عن منظمة الأممية لأسباب ناتجة عن الوضع السياسي الحالي لأوروبا. فلنعط لإخواننا العمال في أوروبا الوقت ليعززوا عملهم. إن رفاقكم في أمريكا يعدونكم بالحفاظ وبتثمين ما قدمت الأممية لهم، وذلك إلى أن تصبح الظروف ملائمة فتوجه من جديد عمال كل البلدان إلى النضال المشترك، حيث سيرتفع صراخ أكثر قوة من السابق: "يا بروليتاريي جميع البلدان اتحدوا" ".

لقد تحدث انجلز هنا في رسالته عن مرحلة تاريخية، **فما هي خصائص هذه المرحلة؟**

إنها مرحلة تحول الرأسمالية (رأسمالية المنافسة) إلى الامبريالية (رأسمالية الاحتكارات)، وقد سبق للينين بعد ذلك أن حدد سنة 1876 كنقطة انطلاق "**الحرب بين أكبر ملاكي العبيد من أجل الإبقاء على العبودية** و**تعميقها**". ومن المعروف أن هذه الحرب ستتطور أولا، وبشكل أساسي خارج أوروبا، وذلك من أجل الاستيلاء على المستعمرات في آسيا وإفريقيا والعالم كله. وعند نهاية القرن 19 ستظهر بشكل نهائي المرحلة الامبريالية للرأسمالية.

بعد ذلك سارت الرأسمالية الامبريالية نحو حربها العالمية الأولى، والتي دارت بين إمبرياليات متنافسة، و نعني بذلك حرب 1914 -1918.

ا ـ الاشتراكية الديموقراطية (1883 – 1914):

1 ـ الإرث الثوري:

إن الاشتراكية الديموقراطية هي أول حركة منظمة للطبقة العاملة تأسست على قاعدة الفكر الماركسي كنظرية ثورية، و على الاشتراكية كهدف برنامجي.وقد جاءت كنتاج، كما أنتجت جدليا، قادة كبار مثل كارل كاوتسكي و أوغوست بيبل و ولهايم ليبنخت و روزا لوكسمبورغ و فرانز ميهرينغ و جورج بليخانوف و رادولف هلفردينغ و أوتو بوير و كارل رينير و وليلهابم بيك ثم لينين .وقد ساهم انجلزبدور كبير في توجيهها رغم ماواجهه من صعوبات.

لقد ساهمت الحركة الاشتراكية الديموقراطية في نشوء مفهوم الحزب كطليعة بروليتارية، انطلاقا من إعطاء الدور القائد للإيديولوجيا. و هنا يكون لينين تلميذا لكارل كاوتسكي، و هذا ما يفسر حدة الهجوم، الذي قام به لينين ضد كاوتسكي، ليس فقط لأنه إصلاحي، بل لأنه كذلك خان ما كان يمثله عندما كان ثوريا، و لذلك، لا يمكن فهم اللينينية بدون فهم الاشتراكية الديموقراطية و إرثها الثوري، خاصة و أن بعض الأطروحات المنتشرة، و ذات الطابع الأناركي، قد ساهمت في ترويج فكرة أن الاشتراكية الديموقراطية كانت إصلاحية بشكل خالص، علما أن الاشتراكية الديموقراطية قد رفضت تحريفية بيرنشتاين نهاية القرن 19.

لقد كان على رأس الاشتراكية الديموقراطية نهاية القرن 19 كارل كاوتسكي، باعتباره مدافعا كبيرا عن الماركسية، و قد كان منظرا في مجالات عدة، و ساهم بشكل رئيسي في بلورة مبدأ قيادة الطبقة العاملة و نظرية الطليعة البروليتارية.

ولد كارل كاوتسكي سنة 1855 و أصبح ماركسيا لاحقا، و هو من أصول نمساوية – تشيكية، و اشتغل كمناضل ثوري من داخل الاشتراكية الديموقراطية الألمانية، و تحمل مسؤولية نشر الفكر الماركسي، و أصبحت كتاباته ذات تأثير كبير خاصة في المناطق المتكلمة باللغة الألمانية، بل و كذلك في بوهيميا و مورافيا و هنغاريا و بولونيا و روسيا، و قد لعبت مجلة "الزمن الجديد"، -التي أسسها في السنة التي مات فيها كارل ماركس 1883- وكذلك كتاباته دورا هاما في ما يمكن تسميته

بالمرحلة الأولى لتأكيد الماركسية سياسيا، و كذلك كنظرية علمية، لقد كانت المجلة الأداة النظرية للاشتراكية الديموقراطية الألمانية، حيث ظل كارل كاوتسكي رئيسا لتحريرها لمدة 35 سنة.

لقد عرفت هذه المرحلة صراعا حادا داخل الحركة العمالية بين الاشتراكية الديموقراطية، التي أدركت القيمة المركزية للنظرية و التوجيه الإيديولوجي و أهمية ذلك في بناء الحزب الطليعي للطبقة العاملة، و بين "السنديكالية الثورية"، التي كانت اتنكر هذا الدور.

لقد رفضت "**السنديكالية الثورية**" مفهوم الطليعة البروليتارية، و أنكرت كذلك وجود الديالكتيك في الطبيعة، و لا يوجد بالنسبة لها إلا "الصراعات الطبقية"، ثم التأكيد على ضرورة التركيز على المسائل الاقتصادية فقط من أجل تحريك الجماهير، و على هذا الأساس، فإن النضال من أجل مجموعة من الحقوق و المطالب الديموقراطية، لا معنى له من وجهة نظر "السنديكاليين الثوريين"، و لا يجب على الجماهير العمالية أن تهتم بالسياسة. لقد رفض "السنديكاليون الثوريون" إعطاء أي دور للنظرية الثورية في بناء الحزب.

من الناحية التاريخية، فقد فتحت "السنديكالية الثورية" الطريق نحو الفاشية بسبب مثاليتها و الذاتوية التي تميزت بها و إنكارها للماركسية. هكذا، و عند نهاية القرن19، لم يكن هناك إلا طريقان:

- طريق الماركسية الأرتدوكسية بقيادة كاوتسكي.

- طريق "السنديكالية الثورية" بزعامة جورج سوريل (1847-1922) و هوبرت لاغارديل (1874-1958) و أنطونيو لابريولا (1843-1904) و إيرفين سزابو(1877-1918).

و من الملاحظ أنه، بقدر ما كانت الطبقة العاملة قادرة على قراءة كارل ماركس و فردريك انجلز، بقدر ما استطاعت بناء أحزاب اشتراكية ديموقراطية (حالة المانيا والنمسا وروسيا وبعض بلدان أوربا الشرقية)، و على العكس، بقدر ما كانت أقل قدرة بسبب اللغة على قراءة كارل ماركس و فردريك انجلز، بقدر ما كانت عاجزة عن بناء أحزاب اشتراكية ديموقراطية، فظلت في مستوى مجموعات مستقلة مناهضة للسياسة و تركز على المشاكل الاقتصادية، وتعرف انتشارا للفوضوية والسنديكالية الثورية (حالة فرنسا واسبانيا وإيطاليا).

2- كاوتسكي و لينين حول الدور المركزي للنظرية الثورية:

لقد كان لتجربة الاشتراكية الديموقراطية العالمية قيمة تاريخية تمثلت في تجارب العمل النقابي والنضال الاجتماعي، و في تأكيد انتصار الماركسية في الحقل النظري، لكن هناك نقطة أساسية تلخص تلك القيمة التاريخية، و تتمثل في أهمية أن الإيديولوجيا الثورية يجب أن يتم تركيبها من طرف قادة منظرين يساهمون في بلورة فكرة الثورة بشكل ملموس، لتكون التعبير والتجسيد الحي والخلاق للنظرية الماركسية في الواقع الملموس التاريخي المحدد لكل بلد.

وقد تحدث لينين عن مفهوم كارل كاوتسكي معتبرا إياه صحيحا، هكذا، وفي كتابه "ما العمل؟" نقرأ ما يلي:

"لإتمام ما قلناه أعلاه، لننقل مرة أخرى الأقوال الصحيحة و الحقيقية و المعبرة لكاوتسكي بصدد مشروع البرنامج الجديد للحزب الاشتراكي الديموقراطي النمساوي:

"العديد من نقادنا التحريفيين يرجعون إلى ماركس هذا التأكيد القائل بأن التطور الاقتصادي و النضال الطبقي لا يخلقان فقط ظروف الإنتاج الاشتراكي، بل يولدان مباشرة الوعي بضرورته، و ها هم هؤلاء النقاد يعترضون بكون انجلترا، البلد الذي عرف التطور الرأسمالي الأكثر تقدما، هو البلد الأكثر ابتعادا عن هذا العلم.

إن مشروع البرنامج يعطي الانطباع بأن اللجنة التي بلورت البرنامج النمساوي تشاطر كذلك وجهة النظر المسماة ماركسيو أورتودوكسية، التي يدحضها مثال انجلترا. إن المشروع يحمل: "بقدر ما تتنمى البروليتاريا كنتيجة لتطور الرأسمالية، بقدر ما تكون مجبرة، و تكون لها إمكانية النضال ضد الرأسمالية. إن البروليتاريا تجيء إلى وعي إمكانية و ضرورة الاشتراكية".

وبالتالي، فإن الوعي الاشتراكي يكون نتيجة ضرورية، مباشرة للنضال الطبقي البروليتاري، و هذا أمر خاطئ بالكامل.

كنظرية، فإن الاشتراكية بالطبع لها جدور في العلاقات الاقتصادية الحالية بنفس درجة النضال الطبقي للبروليتاريا، و بنفس درجة هذا الأخير تنبثق من النضال ضد فقر الجماهير و بؤسها المتولد عن الرأسمالية.

لكن الاشتراكية و النضال الطبقي ينبثقان بشكل متواز و لا ينبثقان من بعضهما البعض، إنهما ينبثقان من مقدمات مختلفة. إن الوعي الاشتراكي الحالي لا يمكن أن ينبثق إلا على قاعدة معرفة علمية عميقة.

و الحال أن حامل العلم ليس هو البروليتاريا، بل المثقفون البورجوازيون: إنه بالفعل، في دماغ بعض الأفراد من هذه الفئة ولدت الاشتراكية المعاصرة، و عبرهم تم إيصالها إلى البروليتاريين المثقفين الأكثر تطورا، اللذين أدخلوها بعد ذلك إلى النضال الطبقي للبروليتاريا، هناك حيث كانت الظروف تسمح بذلك.

هكذا إذن، فالوعي الاشتراكي هو عنصر مستورد من الخارج (الترجمة الألمانية) إلى النضال الطبقي للبروليتاريا، و ليس شيئا ينبثق عفويا (الترجمة بالألمانية).

و أيضا فإن البرنامج القديم لهاينفيلد، يقول بشكل صحيح، أن مهمة الاشتراكية الديموقراطية هي إدخال الوعي بوضعها و الوعي بمهمتها إلى البروليتاريا (حرفيا: ملأ البروليتاريا).

و طبعا، لن تكون هناك ضرورة للقيام بذلك، إذا كان هذا الوعي ينبثق من النضال الطبقي، و الحال أن المشروع الجديد استعار هاته الأطروحة من البرنامج القديم و ألصقه بالأطروحة المذكورة أعلاه، الشيء الذي أوقف مجرى الفكر ...".

و بعد إيراد هذه الفقرة الطويلة من طرف لينين، سنجده يستأنف القول بما يلي:

"من اللحظة التي لا يمكن فيها أن تكون مسألة إيديولوجيا مستقلة، مبلورة من طرف الجماهير العمالية نفسها خلال حركتها، فإن المسألة تطرح فقط هكذا: إما إيديولوجيا بورجوازية أو إيديولوجيا اشتراكية، فليس هناك وسط (ذلك أن الإنسانية لم تبلور إيديولوجيا "ثالثة"، ثم بعد ذلك، ففي مجتمع ممزق بالتناقضات الطبقية لا يمكن أن توجد هناك إيديولوجيا فوق الطبقات).

لذلك، فكل تنقيص من الإيديولوجيا الاشتراكية، و كل ابتعاد عن هذه الأخيرة، فإنه يعني تقوية للإيديولوجيا البورجوازية.

نتكلم عن العفوية، لكن التطور العفوي للحركة العمالية ينتهي بالضبط إلى ربطها بالإيديولوجيا البورجوازية، و يتحقق ذلك بالضبط حسب برنامج الكريدو (وثيقة تاريخية للتيار الاقتصادوي في روسيا)، ذلك أن الحركة العمالية العفوية

هي بالضبط التراديونية (الترجمة بالألمانية)، و الحال أن التراديونية هي بالضبط الاستعباد الإيديولوجي للعمال من طرف البورجوازية. ولذلك فإن مهمتنا، مهمة الاشتراكية الديموقراطية هي محاربة العفوية، و إبعاد الحركة العمالية من هذا الاتجاه العفوي، الذي تنحو إليه التراديونية، التي تختبئ تحت جناح البورجوازية، و من ثمة جرها لتكون تحت جناح الاشتراكية الديموقراطية الثورية".

نرى هنا، من خلال المقارنة بين الفقرتين (فقرة كاوتسكي و فقرة لينين) كيف استخلص لينين، الذي أكمل السير على طريق الإرث الثوري للاشتراكية الديموقراطية، أهم درس من تلك التجربة، التي امتدت على عشرات السنين، و تناوب على قيادتها ماركس و انجلز و كاوتسكي عندما كان ثوريا.

3) انفجار و نهاية الأممية الثانية:

انفجرت الأممية الثانية مع انطلاق الحرب الامبريالية الأولى نتيجة الدعم الذي قدمته كل فروعها إلى بورجوازياتها الامبريالية الوطنية.

و نجد لدى ستالين تصنيفا دقيقا لتلك الأحزاب عندما يقول في كتابه "تاريخ الحزب الشيوعي البلشفي للاتحاد السوفياتي"، ص.ص 195، 196 ما مضمونه:

1- لقد كانت الأحزاب الاشتراكية اشتراكية في القول فقط و امبريالية في الواقع. لقد خانت المفهوم الماركسي للحزب باعتباره حزبا أمميا.

2 – لم تكن الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية تدعو الجماهير إلى الثورة، بل تساير فقط الطموحات العفوية للجماهير، فتقترح بعض الإصلاحات من أجل تلبية تلك المطالب. لقد كانت تخون المفهوم الماركسي للحزب، الذي يهدف إلى قلب البورجوازية و تحقيق الثورة.

3 – لقد كانت القاعدة الاجتماعية الأساسية لهاته الأحزاب بورجوازية صغيرة، و قد كان القليل من القادة اللذين يأتون من الطبقة العاملة، و إذا حصل ذلك فيتعلق الأمر بعناصر مرتشية تم شراؤها من طرف البورجوازية. لقد خانت هذه الأحزاب المفهوم الماركسي للحزب الذي يتشكل من طليعة البروليتاريا.

4 – لقد كان قادة الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية، خاصة الأكثر تأثيرا كإدوارد بيرنشتاين و كارل كاوتسكي و جول غيسد و جان جوريس و آخرون، يعطون للعمل البرلماني (النزعة البرلمانوية) الأساسي من مجهوداتهم، و كانوا يبررون ذلك بالعديد من المبررات المعادية للأفكار التي بلورها ماركس و انجلز. لقد كانوا يخونون المفهوم الماركسي للحزب باعتباره حاملا للنظرية الثورية.

5 – لقد تمظهرت هذه التحريفية القديمة المعادية للماركسية في ميدان التنظيم و أسلوب العمل للأحزاب الاشتراكية الديموقراطية.

فقد كانت الأممية الثانية تتبع في بدايتها توجيهات ماركس و انجلز، التي كانت تقر بضرورة بناء فروع للأممية، مشكلة من طرف أحزاب ممركزة على مستوى كل بلد بلد، و ذلك على النقيض من مفاهيم اللامركزية و معاداة "السلطوية" التي كان يحملها الفوضويون، و لذلك لم تتأخر هذه الأحزاب الانتهازية في ممارسة الليبرالية. وقد تسبب "الحق في الاتجاهات" في

تقسيم المنظمة إلى أجنحة و كتل، سواء على المستوى العالمي أو على مستوى أحزاب كل بلد. إن الانضباط المنظم و المقبول بحرية، الذي كان يدعو له ماركس و انجلز بهدف تعزيز كل حزب و تقوية فعاليته في خدمة البروليتاريا، قد تمت إعادة النظر فيه و التخلي عنه بعد الحط منه، هكذا، و عندما انفجرت الحرب الامبريالية الأولى سقطت كل هذه الأحزاب في الانحلال الشامل و المهين لتتحول إلى أحزاب بورجوازية شوفينية.

المراجع:

(1) فردريك انجلز، كارل ماركس و آخرون، المراسلات (منشورات كوستيس 1950، المجلد الأول، ص. 204، 205).

(2) كتاب"ما العمل؟"، فلاديمير لينين (مؤلفات ماركس، انجلس، لينين، دار التقدم، موسكو).

(3) كتاب "خطوة إلى الأمام، خطوتان إلى الوراء"، فلاديمير لينين (دار التقدم، موسكو).

(4) كراسة "افلاس الأممية الثانية"، فلاديمير لينين (المنشورات الاجتماعية. (بالفرنسية))

(5) كراسة "مهام وواجبات الاشتراكيين الديموقراطيين الروس" (المؤلفات، الطبعة الروسية الخامسة، المجلد2).

(6) "الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية" (مؤلفات ماركس، انجلس، لينين، دار التقدم، موسكو).

(7) "تاريخ الحزب الشيوعي البلشفي للاتحاد السوفياتي"، موجز حرره ستالين في 1938، وصادقت عليه اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي (منشورات اللغات الأجنبية، موسكو، 1946).

(8) "مبادئ اللينينية" (محاضرات ألقاها ستالين في جامعة سفيردلوف، بداية أبريل 1924، وقد أهداها إلى " فوج لينين").

القسم الثالث

I - في الصراع ضد الانتهازية والتحريفية، لينين يؤسس أول حزب ماركسي – لينيني في التاريخ (حزب من طراز جديد):

كان انتصار ثورة أكتوبر 1917 حاسما في تقدم نظرية الحزب، بحيث أصبح ممكنا الحديث عن نظرية "حزب البروليتاريا، حزب من طراز جديد".

لقد بلور لينين مبادئ هذه النظرية المطبقة على مرحلتي خلق الحزب وبنائه، وذلك قبل وخلال الثورة البروليتارية. لم يسعف العمر لينين طويلا لكي يعايش مرحلة بناء الحزب بعد انتصار الثورة، أي مرحلة بناء الاشتراكية، لكن ستالين حاول أن يسير على نهج لينين لتطوير النظرية، الشيء الذي لم يمنع من سقوط الاتحاد السوفياتي في مستنقع التحريفية على يد طغمة نيكيتا خروتشوف، فجاءت التجربة الصينية بقيادة ماو، الغنية بتجارب 39 سنة من النضال الثوري، لتتوج بالثورة الثقافية ابتداء من سنة 1966، مكملة عمل لينين و ستالين، و مرتقية بنظرية الحزب إلى مستوى أعلى، و اكتست هذه التجربة أهمية كبرى لأنها ساهمت في إغناء نظرية الحزب من طراز جديد، في مرحلة ما بعد انتصار الثورة تحت قيادة دكتاتورية البروليتاريا.

ساهم قادة آخرون في بناء أحزاب شيوعية ماركسية ـ لينينية خلال مراحل النضال من أجل التحرر الوطني، من أمثال هو شي منه وأنفير حجة ... ولا يمكن حصر اللائحة في البلدان التي نجحت فيها الثورة، فقد برز قادة ثوريون ماركسيون ـ لينينيون في العديد من بلدان العالم، ويجب على الماركسيين – اللينينيين أن يستحضروا تراثهم الثوري.

عندما كان عمر لينين 25 سنة، أي في سنة 1895، أسس في مدينة سان بترسبورغ **"اتحاد النضال من أجل تحرر الطبقة العاملة"**، التي تمثلت مهمته الأساسية في نشر أفكار الماركسية داخل البروليتاريا الروسية، وكما يقول مؤرخو الثورة

البلشفية، فإن هذه الجماعة شكلت جنين حزب ثوري بروليتاري، وكانت مبادرة فيما يخص انعقاد المؤتمر الأول للحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي لروسيا، حزب يتبنى الماركسية، وذلك في مارس 1898. إن محاولة لينين هاته، ستواجهها صعوبات جمة، تعود إلى واقع تاريخي يتميز بهيمنة إيديولوجية غير بروليتارية وسط الأنتلجانتسيا في روسيا، وداخل الحركة الثورية فيها.

لقد كانت الحركة الاشتراكية الثورية في روسيا ممزقة بشكل كبير، ومنقسمة إلى حلقات ومجموعات اشتراكية ديموقراطية مشتتة، لا يجمع بينها لا برنامج ماركسي واحد ولا تنظيم ممركز معترف به من طرف الجميع. وقد كان النشاط المسيطر داخل هذه المجموعات يتم تحت شعار تمجيد "الاقتصادوية"، التي تقدس عفوية الجماهير المستغلة، الشيء الذي لم يمنعها من حذف أي دور قائد للطبقة العاملة.

لقد خاض لينين صراعا طويل الأمد ضد ممثلي هذه الإيديولوجيا البورجوازية، التي كانت تسعى إلى توجيه نشاط الحزب الجديد في طريق الإصلاحية، واحترام الشرعية القيصرية والرأسمالية، هكذا، أنشأ لينين جريدة "الإسكرا" وقادها، وقد تضمنت أعمدتها مجموعة من المقالات عممت أفكار ماركس و انجلز، و من بينها كراسة "**من أين نبدأ**"، التي تم نشرها في العدد 4 من شهر ماي 1901 و" **رسالة إلى رفيق حول مهامنا التنظيمية**"، شتنبر 1902.

لقد لعبت "الإسكرا" دورا هاما في هزم الأفكار والممارسات الاقتصادية، كما ساهمت في تجميع الحلقات الاشتراكية الديموقراطية، التي كانت موزعة عبر ربوع روسيا وتعيش حالة شتات، وقد كان كل هذا المجهود اللينيني، يصب في الإعداد لانعقاد المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديموقراطي لروسيا.

إن الدور الحاسم في إنجاز هذه المهام، يعود إلى كراسة لينين المنشورة في مارس 1902: "**ما العمل؟**". فمن خلال جدال حاد ضد العفويين طرح لينين أهم الأسس الإيديولوجية للحزب الماركسي. وهكذا، يمكن القول أنه خلال المؤتمر الثاني للحزب، و عبر المواجهات الحادة، تأسس حزب ماركسي ثوري حقيقي لأول مرة في روسيا، حزب يؤسس خطه ونشاطه على قاعدة المبادئ الإيديولوجية والتنظيمية، التي بلورها لينين ودافع عنها، انطلاقا من كتابات ماركس و انجلز في هذا المجال.

انعقد المؤتمر الثاني للحزب في 30 يوليوز 1903، وقد اعتبر مؤرخو الحركة العمالية العالمية أن هذا المؤتمر هو المؤتمر الأول، الذي أخذ على عاتقه أفكار ماركس و انجلز منذ أن توفيا. وقد استطاع لينين خلال هذا المؤتمر أن يدخل أطروحة دكتاتورية البروليتاريا عند صياغة البرنامج الثوري للحزب، وكذلك الأخذ بالاعتبار الأهمية التاريخية للفلاحين كحلفاء للطبقة العاملة.

لقد أكد لينين، وأعلن، ضرورة بناء حزب "يقود النضال العملي ولا يقتصر نشاطه على النقاشات الأكاديمية"، وقد قال أنه على الحزب أن "**أن يبلور في برنامجه، و بشكل أكثر وضوحا، اتهامه تجاه الرأسمالية الروسية**". كما دافع لينين عن مبدأ الأممية البروليتارية، بمساندته للموقف الماركسي المتعلق بحق الأمم في تقرير مصيرها، وقد ضمن لينين برنامج الحزب مستويين: المستوى الأدنى، وسمي بالبرنامج الأدنى (خاص بالثورة الديموقراطية البورجوازية) ومستوى أقصى، ويسمى البرنامج الأقصى (خاص بمرحلة الثورة الاشتراكية).

لقد أصبح برنامج الحد الأدنى الوثيقة الأساسية للحزب البلشفي إلى حدود المؤتمر الثامن للحزب الذي انعقد في 1919. وقد خاض لينين معارك قوية بخصوص المبادئ التنظيمية للحزب، عندما دافع خصومه في المؤتمر عن فكرة حزب إصلاحي توفيقي، بدون بنيات تنظيمية محددة بشكل واضح تماما، كما كان الحال لدى الأحزاب الانتهازية للأممية الثانية.

إن معارضي لينين كانوا في حقيقة الأمر يعترضون على مفهوم دكتاتورية البروليتاريا، ولذلك كانوا يرفضون فكرة الحزب الممركز والقائم على الانضباط.

1) مسألة العضوية في الحزب:

لقد عرف المؤتمر الثاني للحزب صراعا مريرا حول مسألة العضوية في الحزب، قسمت أنصار "الإسكرا" إلى فريقين، فريق يتبنى أطروحة لينين حول العضوية في الحزب، التي جاء بها البند الأول من مشروع القانون الأساسي للحزب، والتي تقول بضرورة أن تتوفر في العضو ثلاثة عناصر أساسية، أولها **تبني برنامج الحزب**، ثانيها، **أن يكون عضوا في إحدى تنظيماته**، ثالثها، **أن يؤدي المساهمة المادية للحزب**، وذلك لكي تكتمل عضويته. ويضع هذا التصور حدا للفوضى و الليبرالية، ويساهم في بناء حزب يقوم على الانضباط البروليتاري، كما يضع حدا للميوعة، وغياب الحدود الفاصلة بين العضو و اللاعضو، و سيسمى أنصار هذا الاتجاه بالبلاشفة (الأغلبية)، لأن التصويت على هذه النقطة كان في صالحهم، بينما الفريق الثاني، و كان يقوده مارتوف فقد **رفض النقطة الثانية المتعلقة بالعضوية في إحدى تنظيمات الحزب، و الاكتفاء بالاتفاق على برنامج الحزب و التعاطف معه دون إلزامية بالمشاركة في تنظيماته، ولا المساهمة في ماليته بشكل إلزامي**، هكذا يصبح كل من ادعى أنه مع الحزب، أو يتعاطف معه هو عضو في الحزب، و هذا التصور يفتح الباب للميوعة

و اللانضباط، و غياب الحدود الفاصلة، ورفض للمركزية، و بالتالي يساهم في بناء حزب مهلهل، و غير قادر على إنجاز المهام الثورية، و سمي أنصار هذا الاتجاه بالمناشفة (الأقلية)، لأن نتيجة التصويت كانت في غير صالحهم.

كان هناك عند لينين تصور مختلف لما كان لدى رفيقه السابق في الاتحاد، مارتوف، فهو يرى أن: **"كل عضو في الحزب هو مسؤول عن الحزب كله، وأن الحزب مسؤول عن كل عضو من أعضائه".**

ولذلك، أعلن لينين عن ضرورة:

"السهر على الحزم وعلى التحكم والصفاء في حزبنا".

"علينا أن نقوم بمجهود من أجل الارتقاء إلى الأعلى بصفة وأهمية عضوية الحزب ...".

لقد انتصرت أفكار لينين في المؤتمر الثاني، لكن هذا الانتصار لم يعن نهاية الصراع بين الخطين والطريقين والإيديولوجيتين المتضادتين، تلك التي تنتمي للبورجوازية وتلك التي تنتمي للبروليتاريا.

2) صراعات ما بعد المؤتمر الثاني وصدور كتاب "خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء":

بعد انتهاء المؤتمر الثاني للحزب، وانفجار الصراع بين المناشفة والبلاشفة، انخرط لينين بعناية ودقة في دراسة محاضر الجلسات والقرارات، وتدخلات كل مندوب والمجموعات السياسية، التي ظهرت في المؤتمر، و وثائق اللجنة المركزية ومجلس الحزب، و كانت نتيجة هذا العمل الشاق صدور كتاب "**خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء: الأزمة في حزبنا**".

صدر هذا الكتاب سنة 1904 في جنيف لأول مرة، وسيتم توزيعه بشكل كبير بين طلائع العمال. يعالج لينين في هذا الكتاب بشكل أساسي، مبادئ الحزب الماركسي في مجال التنظيم، حيث قام بإبراز الحد الفاصل الأساسي مع تخيلات

ولبرالية العفويين والانتهازيين الآخرين، وقد خاض المناشفة صراعا مريرا ضد هذا الكتاب، الذي يكمل بشكل ملموس الخط الإيديولوجي في مجال التنظيم، الذي جاء به كتاب "ما العمل؟"، وقد قام بليخانوف بإدانة مضمون الكتاب، كما ظهرت عناصر توفيقية داخل اللجنة المركزية.

خلال ثورة 1905، وخصوصا بعد هزيمتها، ظهر انشقاق فعلي داخل الحزب، وبعد الأيام الثورية خلال شهر يناير، شارك البلاشفة وحدهم في المؤتمر الثالث للحزب، الذي انعقد في ماي 1905 في لندن، بينما عقد المناشفة إلى جانب تروتسكي، ندوة في مدينة جنيف.

هكذا ظهرت وجهتي نظر:

الأولى، للبلاشفة، اللذين أكدوا على أهمية قيادة الطبقة العاملة للثورة الديموقراطية، بالاعتماد على التحالف العمالي الفلاحي ومساندة الجماهير الشعبية، وعدم التوقف بالثورة في مرحلتها الديموقراطية، والانتقال بها الى الثورة الاشتراكية.

الثانية، للمناشفة، اللذين كانوا يدافعون عن الموقف اللبرالي، الهادف إلى انتزاع كل انتصار للقوى الثورية لصالح البورجوازية، وكانوا يرفضون دفع الثورة إلى الأمام، ويدعون الى الاصطفاف وراء البورجوازية، وعدم تخطي المرحلة الديموقراطية من الثورة.

بعد المؤتمر الثالث، ومن أجل تبيان طبيعة الثورة ومضمونها وقواها المحركة وتحالفاتها، ومن أجل التصدي للأطروحات المرحلوية المنشفية، الداعية إلى الاصطفاف في الثورة وراء البورجوازية اللبرالية والفصل بين مرحلتي الثورة، قام لينين بصياغة كتاب جديد أسس فيه للمبادئ التكتيكية للحزب الماركسي، إنه كتاب "**خطتا الاشتراكية الديموقراطية في الثورة الديموقراطية**"، وقد صدر الكتاب في نهاية يوليوز 1905 بمدينة جنيف، وتم توزيعه سرا في روسيا.

بعد المؤتمر الثاني، استولى المناشفة على جريدة "الإسكرا"، فقام لينين بتأسيس جريدة "**إلى الأمام**"، وجعلها منبرا لخوض الصراع السياسي والإيديولوجي ضد المواقف الانتهازية للمناشفة. كما أن لينين خلال الإعداد للمؤتمر الثالث، قام بتأسيس جريدة "**البروليتاري**"، كجريدة بلشفية، وكجريدة مركزية للحزب، وصدر العدد الأول منها في ماي 1905.

بعد فشل ثورة 1905، أصيب المناشفة بالرعب، بينما صهرت الثورة والقمع عزيمة البلاشفة وجرأتهم وقدرتهم على الصمود والمقاومة، فكان عليهم أن يحافظوا على الحزب، في ظروف هي الأخطر على الإطلاق (المرحلة الستوليبينية ـ نسبة إلى الوزير الأول الروسي أنداك ـ ، تميزت بالإعدامات و الاغتيالات و النفي إلى سيبيريا ...)، و كانت لها نتائج سلبية كثيرة، إلا أن لينين سيظهر كعبقري استثنائي، استطاع أن يطور، و يدافع عن القواعد النظرية للحزب الماركسي، من خلال دفاعه المستميت، وتطويره للمادية الجدلية و المادية التاريخية.

بعد عمل إعدادي شاق في مدينة جنيف، وفي مجموعة من المدن الأوروبية الغربية، وخلال فترة ممتدة من فبراير إلى أكتوبر 1908، كتب لينين كتابه الفلسفي الشهير "**المادية والمذهب النقدي التجريبي**".

لقد استطاع لينين المواصل بلا كلل، وبعبقرية لأعمال ماركس و انجلز أن يبني حزبا ثوريا قويا، كسلاح، سيسمح للبروليتاريا الروسية بقيادة الثورة و نجاحها في الوقت المناسب.

إن الخطوط العريضة لهذا العمل البنائي للحزب، إضافة إلى العمل اليومي الدؤوب للبلاشفة بقيادة لينين، تتمثل في إنجاز أهم النصوص اللينينية، التي قادت سيرورة بناء الحزب البلشفي، وهي:

1 – كتاب "ما العمل؟" الصادر في مارس 1902، والذي اهتم بالمبادئ الإيديولوجية للحزب الماركسي.

2 – كتاب "خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء" الصادر في ماي 1904، وقد اهتم بالمبادئ التنظيمية للحزب الماركسي.

3 – كتاب "خطتا الاشتراكية الديموقراطية في الثورة الديموقراطية في روسيا" الصادر في يوليوز 1905، والذي اهتم بالمبادئ التكتيكية للحزب الماركسي.

4 – كتاب "المادية والمذهب النقدي التجريبي" الصادر في أكتوبر 1908، والذي اهتم بالمبادئ النظرية للحزب الماركسي.

بعد فشل ثورة 1905، ساند المناشفة تيارا انتهازيا كان يدعو إلى خلق حزب قانوني يحترم الشرعية القيصرية، ويعتمد على برنامج ينفي أية إمكانية لعودة المد الثوري. وخلال الندوة الوطنية الخامسة للحزب، التي انعقدت في دجنبر 1908 في باريس، قام لينين بفضح المناشفة، باعتبارهم مدافعين عن تصفية الحزب، فأطلق عليهم اسم "التصفويون"، وقام بتقديم الطرح الثوري، الداعي إلى الدمج بين العمل اللاشرعي والعمل الشرعي في المنظمات الشرعية للطبقة العاملة وللجماهير الشعبية.

من جهة أخرى، سيظهر اتجاه مشكل من بلاشفة قدامى، يختبئون وراء فرازيولوجيا ثورية يسارية (الجملة الثورية)، وقد دعت هذه العناصر إلى رفض كل عمل "شرعي"، والدعوة إلى الانكفاء في عمل سري مطلق، وكذلك دعوة مندوبي الاشتراكية الديموقراطية إلى الانسحاب من الدوما بتقديم استقالتهم. سمي هذا التيار بالأوتزوفوستيين، نسبة إلى الكلمة الروسية أوتزوفوت، وتعني "استدعاء". لقد كان هؤلاء "**تصفويون بالمقلوب**" كما وصفهم لينين، فقد كانوا دوغمائيين وحلقيين، وحاولوا عزل الحزب عن الجماهير العمالية والشعبية. وبعد صراع مرير مع هؤلاء، اجتمع المجلس الموسع لهيئة تحرير الجريدة البلشفية "البروليتاري"، فأصدر قرار إدانتهم سنة 1909، وبعد ذلك بقليل، تم طردهم من التنظيم البلشفي. وقد قال ستالين أن هؤلاء " **"التصفويين" و "الأوتزوفوستيين" لم يكونوا في كل الأحوال، سوى رفقاء طريق بورجوازيين صغار للبروليتاريا ولحزبها**".

بالإضافة إلى هذا، خاض لينين معارك قوية ضد ما سمي ب"**كتلة غشت**"، وهي مجموعة تتشكل من انتهازيين يساريين ويمينيين، حاولوا تحطيم الحزب، ودامت هذه المعركة الشرسة من 1910 إلى 1912، وقد استطاع لينين أن يقيم خلال هذه المعركة تحالفا مؤقتا مع مجموعة صغيرة من المناشفة يقودها بليخانوف، واستطاع في الأخير أنصار الحزب اللاشرعي أن يطوروا روابطهم مع الطبقة العاملة، وأخذ مكان "التصفويين" داخل مختلف المنظمات الجماهيرية الشرعية، وذلك عبر الربط بين أشكال النشاط الشرعي و اللاشرعي، و قد كان لستالين دورا كبيرا في هذا المجال.

انتهت هذه الفترة، بانعقاد الندوة السادسة للحزب في يناير 1912 بمدينة براغ، وكانت هذه الندوة بمثابة مؤتمر، وذلك باعتبار أهمية التنظيمات الحزبية التي شاركت فيها. لقد اتخذت الندوة السادسة مجموعة من القرارات ذات بعد تاريخي فيما يخص بناء الحزب وتقويته:

1 – قرار طرد المناشفة والتصفويين والأوتزوفوستيين والتروتسكيين والانتهازيين اليساريين واليمينيين من الحزب.

2 – انتخاب اللجنة المركزية البلشفية، وعلى رأسها لينين، وتم تعيين ستالين و سفيردلوف، المنفيان آنذاك في سيبيريا، كعضوين في اللجنة المركزية.

3 – الحفاظ على علم الحزب، ولذلك، استمر الحزب البلشفي يحمل اسم الحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي لروسيا (البلشفي).

يقول ستالين عن هذه الندوة:

"بعد طرد المناشفة وتشكيل البلاشفة لحزبهم المستقل، سيصبح هذا الحزب أقوى وأكثر صلابة، فالحزب يتقوى عبر تطهير نفسه من العناصر الانتهازية. إن هذا هو أحد شعارات الحزب البلشفي، الحزب من طراز جديد، الذي يتميز بمبادئه نفسها عن أحزاب الاشتراكية الديموقراطية للأممية الثانية، التي كانت تدعي قولا أنها ماركسية وتتسامح مع أعداء الماركسية في صفوفها، هؤلاء الانتهازيين المترسخين، اللذين، عن طريقهم تم سقوط الأممية الثانية في الانحلال، ثم الموت. وعلى عكس ذلك، خاض البلاشفة صراعا بلا هوادة ضد الانتهازيين، فطهروا الحزب من وسخ الانتهازية، واستطاعوا التوصل إلى إنشاء حزب من طراز جديد، حزب لينيني، الحزب الذي سيحقق سلطة دكتاتورية البروليتاريا لاحقا" (ستالين: "تاريخ الحزب الشيوعي البلشفي").

هكذا، في ندوة براغ 1912، نشأ بالفعل أول حزب ماركسي – لينييني في التاريخ.

القسم الرابع

ا ـ الحزب البلشفي ينمو ويتصلب عبر محن الحرب العالمية الامبريالية الأولى ومعارك الثورة البروليتارية

عندما اندلعت الحرب الامبريالية الأولى سنة 1914، وحده الحزب البلشفي، الذي أسسه لينين، ظل مخلصا لمبادئ الماركسية ولقضية الأممية البروليتارية. سنتين قبل ذلك، عرف الحزب تطورا عن طريق إتقانه للربط بين العمل اللاشرعي والعمل القانوني، واستطاع أن يهزم التصفويين، وأن يحول العديد من المنظمات الشرعية إلى نقط ارتكاز لنشاطه الثوري، مستعملا بشكل صائب منبر الدوما، بل أصدر جريدة يومية قانونية تحت اسم "البرافدا"، التي دعمتها الجماهير العمالية.

خلال السنوات الأولى من الحرب، استطاع المناشفة والاشتراكيون الثوريون أن يبسطوا هيمنتهم على السوفياتات (مجالس العمال)، لكن الوضعية العامة للشعب الروسي كانت تسير نحو الأسوأ، فبدأ نشاط البلاشفة يعطي ثماره، و في يومي 26 و 27 فبراير 1917، بعد أسبوع من الإضراب، انطلقت إضرابات عمالية عنيفة، عرفت مواجهات دامية بين العمال و رجال القمع من بوليس و جيش، و انتهت بانتصار الثورة الديموقراطية البورجوازية. وبينما كان البلاشفة يتحملون مسؤولية قيادة المعارك الشعبية والثورية، كان المناشفة مهتمين بربح مقاعد مندوبي السوفياتات، كان لينين ما زال مقيما في المنفى، بينما كان ستالين و سفيردلوف في منفاهما في سيبيريا.

كان الحزب البلشفي في هذه الفترة يضم 40 ألف إلى 45 ألف عضوا، وعندما عقد ندوته السابعة في 24 أبريل سنة 1917 (أول ندوة قانونية) أصبح عدد أعضائه 80 ألف. عاد لينين من المنفى وأطلق شعاره الشهير "كل السلطة للسوفياتات"

واضعا بذلك مسألة السلطة البروليتارية في جدول أعمال الحزب، فأصبح الحزب يوجه نشاطه نحو إعداد الانتفاضة البروليتارية المسلحة.

لقد انعقد آخر مؤتمر للحزب قبل الثورة في 1907 (المؤتمر الخامس) و من 26 يوليوز إلى 3 غشت 1917، عقد الحزب البلشفي مؤتمره السادس، حيث كان مندوبو المؤتمر يمثلون 240 ألف عضو، وعرف المؤتمر صراعا قويا بين اتجاهين وخطين، يدعو الأول إلى تفجير الثورة البروليتارية، وهو موقف لينين بينما يدعو الثاني لتأجيلها، وكان ستالين و سفيردلوف (اللذان عادا من سيبيريا) إضافة إلى مولوطوف و أورديجونوكيدجي يدافعون عن موقف لينين، ولم يحضر لينين المؤتمر لأنه كان مبحوثا عنه من طرف البوليس الروسي، حيث التجأ إلى الاختفاء في بعض المناطق النائية، ودار صراع قوي بين أنصار لينين ودعاة التأجيل خاصة كامينيف و زينوفييف، كما دار صراع ضد بوخارين و تروتسكي، الذي كان يدعو إلى فكرة تسليم لينين لنفسه للمحكمة.

1 – المؤتمر السادس وقراراته:

صادق المؤتمر السادس للحزب البلشفي على قانون أساسي جديد للحزب، مدعما لتسيير الحزب على أساس مبادئ وقواعد المركزية الديموقراطية.

إن هذا القرار يعتمد على خط إيديولوجي وتنظيم قوي، ويحتوي على البنود التالية:

أ- انتخاب كل الهيئات القيادية للحزب

ب- تقديم تقارير دورية للهيئات القيادية للحزب أمام تنظيماتها القاعدية

ج – انضباط حديدي في الحزب، وخضوع الأقلية للأغلبية

د – التزام، واحترام، وتطبيق كل قرارات الهيئات العليا من طرف الهيئات الدنيا وكل أعضاء الحزب.

وفي نهاية المؤتمر أصدر الحزب البلشفي بيانا إلى العمال والجنود والفلاحين، انتهى بالنداء التالي:

" يا رفاق الكفاح، استعدوا للمعارك الجديدة! وبحزم وشجاعة وهدوء وبدون السقوط في الاستفزاز، راكموا القوى، انتظموا في فرق الكفاح! تحت راية الحزب أيها البروليتاريون والجنود! تحت رايتنا يا مضطهدي الأرياف".

لقد كان المؤتمر السادس آخر مؤتمر قبل اندلاع ثورة 25 أكتوبر 1917.

وعندما حلل ستالين أسباب انتصار الثورة الاشتراكية كتب قائلا:

"... كان هناك على رأس الطبقة العاملة هذا الحزب الذي حنكه النضال السياسي، إنه الحزب البلشفي. وحده حزب كالحزب البلشفي، جريء بما يكفي لقيادة الشعب في الهجوم الحاسم، وحذر بما يكفي لتلافي المزالق من كل نوع، التي تنتصب في طريق النصر، وحده حزب من هذا النوع بإمكانه أن يذيب بطريقة حكيمة وحصيفة، في موج ثوري واحد، حركات ثورية متنوعة من قبيل الحركة الديموقراطية من أجل السلم، الحركة الديموقراطية الفلاحية من أجل انتزاع الأراضي الإقطاعية، الحركة الثورية الوطنية للشعوب المضطهدة المناضلة من أجل المساواة القومية، وكذلك الحركة الاشتراكية للبروليتاريا من أجل قلب البورجوازية ومن أجل إنشاء دكتاتورية البروليتاريا.

إنه لمن الواضح أن مثل هذا الاندماج لتيارات ثورية مختلفة في موج ثوري واحد وقوي، هو الذي حسم مصير الرأسمالية في روسيا" ("تاريخ الحزب الشيوعي البلشفي" ستالين).

2 – ستالين، وصياغة المبادئ اللينينية لحزب من طراز جديد

أدمج المؤتمر السادس للحزب في صفوفه، تروتسكي وأنصاره، وذلك في سياق صعود الثورة البروليتارية، الشيء الذي ساهم في عدم إدراك مندوبي المؤتمر خطورة هذا القرار على مسار الحزب، فتروتسكي كان يعارض لينين وستالين في كل المسائل قبل وخلال وبعد الثورة، فانطلاقا من 1918، ساهم في تشكيل جماعة ستسمى "الشيوعيون اليساريون" وكان لذلك عواقب خطيرة على مسار الثورة، فالمواجهات التي دارت داخل الحزب حول السلم في ألمانيا، والتي كاد لينين فيها أن يصبح أقلية، في وقت كان فيه يحظى بدعم كبير من قواعد الحزب. وكان هذا الحدث مناسبة لعقد المؤتمر السابع يوم 6 مارس 1918، و في هذه اللحظة كان الحزب يضم 270 ألف عضو، ونتيجة التسرع في تنظيم المؤتمر، فلم يمثل نصف أعضاء الحزب في المؤتمر، ومع ذلك فاز لينين على خصومه أمثال تروتسكي و بوخارين وغيرهم، وقبل المؤتمر أن يمضي الحزب اتفاقية سلام "بريست- ليتوفسك" ب ثلاثين صوتا ضد 12 صوتا، وأربعة ممتنعين عن التصويت، وقرر المؤتمر كذلك، باقتراح من لينين تغيير اسم الحزب، ليصبح "الحزب الشيوعي (البلشفي) لروسيا" وذلك انطلاقا من أن هدف الحزب هو الشيوعية.

بعد انتصارهم على ألمانيا في الحرب، قام الحلفاء الإمبرياليون باعتداء عسكري على بلد السوفياتات، وذلك بتحالف مع القوى المعادية للثورة في روسيا، ودامت الحرب الأهلية ضد الشعوب السوفياتية ثلاث سنوات، واستطاع الجيش الأحمر سحق الأعداء وإنقاذ البلد والثورة.

لقد قام ستالين بشرح كيفية تحقيق هذا الانتصار:

" ... لقد انتصر الجيش الأحمر لأن نواته القائدة، سواء في المؤخرة أو في الجبهة كانت الحزب البلشفي الملتحم بتماسكه وانضباطه، القوي بروحه الثورية وإرادته في تقديم التضحيات من أجل انتصار القضية المشتركة، حزب لا نظير له فيما يخص قدرته على تنظيم الجموع وقيادتهم بطريقة حكيمة في وضع معقد" (نفس المرجع السابق).

في يوم 21 يناير 1924 توفي لينين، الذي أنهكه عمر كامل من الأعمال الشاقة والمجهودات، التي تجاوزت كل الحدود، فانهارت صحته، واضطر قبل وفاته إلى تقليص نشاطه ابتداء من خريف 1922. وبعد وفاته، وأمام المؤتمر الثاني للسوفياتات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، أي يوم 26 يناير 1924، قام ستالين بإلقاء خطاب جاء فيه:

"أيها الرفاق، إننا نحن الشيوعيون أناس من طينة خاصة، مفصلين من ثوب خاص. نشكل جيش، الاستراتيجي البروليتاري الكبير، جيش الرفيق لينين، ليس هناك أسمى من شرف الانتماء لهذا الجيش، ليس هناك أسمى من لقب عضو الحزب، الذي يشكل لينين مؤسسه وقائده، ليس في متناول الجميع مقاومة التحديات والعواصف، التي تتولد عن الانتماء لهذا الحزب. إن أبناء الطبقة العاملة، أبناء الحاجة والنضال، الحرمان بدون اسم، والمجهودات البطولية، إنهم هؤلاء، الذين قبل كل شيء يجب أن يكونوا أعضاء هذا الحزب، هكذا لماذا حزب اللينينيين، حزب الشيوعيين، ما زال يسمى حزب الطبقة العاملة.

بمغادرته لنا، أمرنا الرفيق لينين برفع عاليا، والحفاظ على صفائه، اللقب المجيد لعضو الحزب. إننا نقسم أيها الرفيق لينين بأننا سننجز بشرف إرادتك ...".

بعد موت لينين، قام ستالين بتقديم حصيلة أعمال لينين، ومما جاء في ذلك صياغة ستالين للمبادئ اللينينية لحزب من طراز جديد، أول حزب ماركسي – لينيني في التاريخ.

قدم ستالين عمله في محاضرات ألقاها في جامعة سفيردلوف، وفي الجلسة الثامنة خصص ستالين محاضرته لمسألة الحزب عند لينين، فقدم تلخيصا تركيبيا لأفكار لينين في هذا الموضوع، حيث جاء في كتابه "مبادئ اللينينية" أن:

"الاعتقاد بأن هذه المهام الجديدة (مهام الحزب البلشفي) بالإمكان إنجازها عن طريق قوى الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية القديمة، التي تربت في الظروف السلمية للبرلمانية، هي السقوط في اليأس الذي لا قرار له، في الهزيمة التي لا يمكن تلافيها. إن البقاء بمثل هذه المهام في الأيدي مع أحزاب قديمة في المقدمة، هو حالة عدم التسلح الكامل ..."

و في سياق هذه الخلاصات، بين ستالين أن الحزب اللينيني يستجيب لضرورة حزب من طراز جديد، فالحزب اللينيني الثوري يجب أن يكون:

1 ـ حزبا يشكل فصيلا طليعيا للطبقة العاملة.

2 ـ على الحزب أن يكون فصيلا منظما للطبقة العاملة.

3 ـ على الحزب أن يكون الشكل الأسمى لتنظيم الطبقة البروليتارية.

4 ـ على الحزب أن يكون أداة دكتاتورية البروليتاريا.

5 ـ على الحزب أن يتأسس على وحدة الإرادة، التي لا تتوافق مع وجود التيارات.

6 – الحزب يتقوى بتطهير نفسه من العناصر الانتهازية.

هكذا، ومع لينين منظرا لمسألة الحزب الثوري، نجد أن المفهوم النظري للحزب من طراز جديد، والذي تم تطويره، انطلاقا من التجربة التاريخية الملموسة للحركة البروليتارية الثورية قد وصل مستوى أعلى. وهذا من العناصر التي ستساهم في جعل اللينينية مرحلة ثانية في تطور الماركسية الثورية، مرحلة الثورة الاشتراكية في عصر الامبريالية.

القسم الخامس

التجربة التاريخية للحزب الشيوعي الصيني

تقديم:

في نونبر 1919، وفي تقريره المقدم إلى المؤتمر الثاني لروسيا، الخاص بالمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق، أكد لينين على أهمية المميزات الخاصة للثورة في بلدان الشرق، وقال في هذا الصدد:

"... إن الثورة الاشتراكية لن تكون فقط، ولا بشكل رئيسي نضالا للبروليتاريا الثورية في كل بلد ضد بورجوازيتها، الجواب بالنفي، بل ستكون نضالا لكل المستعمرات وكل البلدان المضطهدة من طرف الامبريالية ... إننا نعرف أن الجماهير الشعبية في الشرق ستتدخل هنا كمساهمة وخالقة لحياة جديدة، لأن هاته المئات الملايين من البشر تنتمي إلى أمم تابعة، محرومة من حقوقها، كانت لحد الآن موضوع السياسة الدولية للإمبريالية باعتبارها مجرد سماد للثقافة والحضارة الرأسمالية ...

إننا نعرف، أنه بعد 1905، انفجرت ثورات في تركيا وفي بلاد فارس، وفي الصين ... إن الحرب الامبريالية قد ساهمت في صعود الحركة الثورية، ذلك أنها قامت بإشراك الفرق الاستعمارية بكاملها في صراع الإمبرياليات بأوروبا. لقد انتزعت الحرب الامبريالية الشرق من سباته، وجرت الشعوب إلى السياسة الدولية ... بعد الفترة التي استيقظ فيها الشرق، تبعتها، ضمن الثورة الحالية، فترة حيث شعوب الشرق بدأت تساهم في تقرير مصائر العالم حتى لا تظل مجرد مصدر للاغتناء. لقد استيقظت شعوب الشرق من أجل النشاط العملي من أجل أن يقرر كل شعب في مصير الإنسانية جمعاء

... إن أغلبية هذه الشعوب هم الممثلون المميزون للجماهير الكادحة، ليس العمال فقط، اللذين تمرسوا في مدرسة المعامل والمصانع الرأسمالية، بل الممثلون المميزون للجماهير الكادحة والمستغلة من الفلاحين الخاضعين لنير القروسطوية.

هنا تنطرح عليكم مهمة لم تطرح بعض على شيوعي العالم كله على قاعدة النظرية و التطبيق العام للشيوعية، عليكم، من خلال التكيف مع الظروف الخاصة، غير الموجودة في بلدان أوروبا، التعلم من أجل تطبيق هذه النظرية، وهذا التطبيق هنا، حيث الفلاحون يشكلون الجماهير الرئيسية، وحيث يتعلق الأمر، ليس بالنضال ضد الرأسمال بل ضد بقايا القرون الوسطى ... عليكم أن تطرحوا هذه المسائل وحلها بمساعدة تجربتكم الخاصة، وستكونون مدعمين من جهة، من طرف تحالفكم الوثيق مع طليعة كل العمال في البلدان الأخرى، ومن جهة أخرى، عن طريق قدرتكم على التقرب من شعوب الشرق التي تمثلونها هنا. سيكون عليكم أن تعتمدوا على الوطنية البورجوازية، التي استيقظت عندهم، ولا يمكن ألا تستيقظ، فوطنيتها مبررة تاريخيا، وعليكم أن تجدوا بشكل مواز طريق الجماهير الكادحة والمستغلة في كل بلد، وأن تقولوا لها في لغة مبسطة أن أملها الوحيد من أجل التحرر هو انتصار الثورة العالمية، وأن البروليتاريا العالمية هي الحليف الوحيد لمئات الملايين من الكادحين والمستغلين في الشرق ...

تلك هي المهمة الكبيرة بشكل استثنائي التي تنطرح عليكم بفضل هذه المرحلة من الثورة، وهذا الزخم للحركة الثورية، التي لا يمكن أن نجعلها موضع شك، فالمجهودات المشتركة للمنظمات الشيوعية في الشرق، ستقودها بشكل جيد، وستنتهي إلى الانتصار الشامل على الامبريالية العالمية".

إن أقوال لينين هاته، وصوته قد دوى في الصين، وقد قال ماو:

"إن الثورة الصينية هي امتداد لثورة أكتوبر، إنها جزء من الثورة العالمية الاشتراكية البروليتارية".

هكذا، ستقدم الصين للعالم تجربة ثاني أكبر حزب ماركسي ـ لينيني في التاريخ، تلك التجربة التي أكدت صحة المبادئ التي بلورها قائد الثورة البلشفية فلاديمير لينين، وذلك في مجال بناء الحزب الثوري من طراز جديد، وقد أغنت الثورة الصينية هذه المبادئ بإسهامات جديدة وخلاقة.

إن هذه التجربة الملموسة، سترتبط بالعمل الجبار لقائد ثوري جديد، الذي وجدت أفكاره قوتها وفعاليتها في منابع لا تنضب من أفكار الشعب الصيني ونشاطه، تلك الأفكار التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من نظرية الاشتراكية العلمية، التي أسسها وجربها قبل ذلك كل من ماركس ولينين وستالين.

هكذا، وبعد سنتين من تقديم لينين لتقريره حول الدور التاريخي لشعوب الشرق في الثورة العالمية، سيولد في فاتح يوليوز 1921 في مدينة شنغهاي، الحزب الشيوعي الصيني.

هكذا، قرر 12 مندوبا يمثلون 56 مناضلا، من بين هؤلاء ظل إلى حدود المؤتمر العاشر للحزب، كل من ماو تسي تونغ و طونغ بي وي، هذا الأخير الذي تم انتخابه عضوا في المكتب السياسي في المؤتمر العاشر، تأسيس الحزب الشيوعي الصيني.

إن التطور اللاحق للحزب الشيوعي الصيني، والانتصارات الثورية الهائلة التي حققها الشعب الصيني تحت قيادته، تشهد بالملموس بأن ما يهم، قبل كل شيء، عند تأسيس الحزب الماركسي ـ اللينيني، ليس إطلاقا عدد المنتسبين إليه، أو نسبتهم بالمقارنة بمجموع عدد السكان، بل ما يهم عند تأسيس هذا النوع من الأحزاب الثورية هو خطه العام.

إن صحة الخط السياسي الضرورية لبناء حزب ماركسي ـ لينيني لا تظهر أبدا بشكل عفوي، وهذا ما يشهد عليه تاريخ الحزب الشيوعي الصيني، الذي لم يكن سوى تاريخ الصراعات الطبقية الحادة، التي تواجه فيها الخط الماركسي ـ اللينيني لماو تسي تونغ مع مختلف الخطوط الانتهازية اليمينية واليسارية داخل الحزب. وكلما انتصر الخط البروليتاري كان الحزب يدخل فترة جديدة إيجابية في بناء ذاته، ويتطور، وعندما كان الخط البورجوازي ينتصر كان الحزب يعرف فترة تراجع وانحلال.

ا - المراحل الأساسية لبناء الحزب الشيوعي الصيني:

1) وضع الصين قبل ولادة الحزب الشيوعي الصيني (1840 – 1921)

ابتداء من 1840 تحولت الصين من مجتمع إقطاعي إلى مجتمع شبه استعماري شبه إقطاعي، فبدأ مسار الثورة الديموقراطية البورجوازية.

بمناسبة الذكرى العشرين لحركة 4 ماي 1919، كتب ماو يقول:

"إذا عدنا إلى مرحلتها الإعدادية سيظهر لنا أن الثورة الديموقراطية البورجوازية في الصين قد قطعت عدة مراحل خلال تطورها: "حرب الأفيون"، "حرب تايبينغ"، الحرب الصينية – اليابانية في 1894، الحركة الإصلاحية لسنة 1898، حركة ييهو توان، ثورة 1911، حركة 4 ماي ...".

بالفعل، فابتداء من 1840 "انبنى معسكر قوي للثورة الديموقراطية البورجوازية في الصين ضد الامبريالية والإقطاعية، تشكل المعسكر من الطبقة العاملة والطلبة والبورجوازية الوطنية الناشئة".

"منذ "حرب الأفيون"، كل المراحل المتوالية للثورة تمتلك كل منها خصائص محددة، وما يشكل اختلافاتها الأكثر أهمية هو تموضعها إما قبل أو بعد ظهور الحزب الشيوعي. ومع ذلك، منظور إليها في شموليتها، فكل هذه المراحل تظهر طابع ثورة ديموقراطية بورجوازية.

إن هذه الثورة تهدف إلى تأسيس نظام اجتماعي لم تعرفه الصين لحد الآن في تاريخها، نظام ديموقراطي، وهذا الأخير له سابق عليه هو المجتمع الإقطاعي ... وكخلف له المجتمع الاشتراكي. وإذا سؤلنا لماذا الشيوعي يجب عليه أن يناضل أولا من أجل بناء مجتمع ديموقراطي بورجوازي، وفقط بعد ذلك مجتمع اشتراكي سنجيب: إنه يتبع طريقا محددة من طرف التاريخ ...".

2) طفولة الحزب الشيوعي الصيني (1921 ـ 1927)

- الفترة الأولى:

تأسس الحزب الشيوعي الصيني في مدينة شنغهاي، المدينة العمالية، في 1 يوليوز 1921، وتمتد المرحلة الأولى في تاريخ بنائه من هذا التاريخ إلى غاية 1927. وتضم هذه المرحلة ابتداء من 1924: الحرب الأهلية الثورية الأولى، التي يسميها ماو تسي تونغ "الثورة الكبيرة الأولى"، وتنتهي هذه المرحلة بانتهاء أول جبهة متحدة مع حزب الكيومنتانغ، وذلك نتيجة خيانة شان كاي شيك، التي تعرض على إثرها الحزب الشيوعي الصيني لقمع عنيف ومجازر دموية.

لقد جاء في مقدمة ماو تسي تونغ لصدور مجلة "الشيوعي"، المحررة سنة 1939 ما يلي:

"في البداية، وإلى حدود وسط هذه المرحلة، كان لدى الحزب خط سديد، وكان أعضاؤه وكوادره ممتلئون بحماسة ثورية ... إلا أن الحزب مع ذلك، كان في طور الطفولة مفتقرا للتجربة في ثلاثة قضايا أساسية: الجبهة المتحدة، النضال المسلح وبناء الحزب، وكذلك غير مطلع بوضوح على الظروف التاريخية والاجتماعية للصين حول خصوصيات وقوانين الثورة الصينية، كما كان يفتقد فهما كاملا لوحدة النظرية الماركسية ـ اللينينية مع ممارسة الثورة الصينية.

خلال هذه المرحلة، طور الحزب تنظيماته لكن دون أن يعززها ودون أن يصلب أعضاءه وكوادره من وجهة النظر الإيديولوجية والسياسية. لقد استقطب عددا كبيرا من الأعضاء الجدد دون إعطائهم التربية الماركسية ـ اللينينية الضرورية. إن التجارب وفيرة في عمل الحزب، لكن دون أن يعرف كيفية تعميمها بالشكل المناسب. وقد تسرب صفوف الحزب العديد من الوصوليين ولم يتم تطهير الحزب منهم، فسقط الحزب في متاهة مخططات ومؤامرات أعدائه كما أصدقائه، كان ينقصه الحذر. كان هناك العديد من مناضليه النشيطين، اللذين أثبتوا وجودهم داخل الحزب، لكنه لم يستطع أن يجعل منهم عموده الفقري".

خلال هذه المرحلة، عقد الحزب خمس مؤتمرات، و هي : المؤتمر التأسيسي في 1 يوليوز 1921، و المؤتمر الثاني في يوليوز 1922 في مدينة شنغهاي (لم يحضر ماو هذا المؤتمر لعدم استطاعته الالتحاق بمكان المؤتمر)، وانعقد المؤتمر الثالث في كانتون في يونيو 1923، وقد استطاع ماو في هذا المؤتمر أن يمرر فكرة التحالف والجبهة المتحدة مع يسار الكومنتانغ، وتم انتخابه عضوا في اللجنة المركزية، وقد حضر هذا المؤتمر 12 مندوبا يمثلون 195 عضوا في الحزب داخل الصين كلها،

وانعقد المؤتمر الرابع في يناير 1925، و عرف هذا المؤتمر انتصار خط تشان تو سيو اليميني، وتمت إزاحة ماو تسي تونغ من اللجنة المركزية. لقد حضر هذا المؤتمر 20 مندوبا يمثلون 980 شيوعيا.

وفي بداية أبريل 1927، قام شان كاي شيك بحل الجبهة المتحدة، التي يقودها حزب الكيومنتانغ مع الحزب الشيوعي بقيادة الأول، وهي الأطروحة التي كان يتبناها شان تو سيو (ما يسمى بخط شان تو سيو اليميني). وأطلق شان كاي شيك هجوما مفاجئا ودمويا ضد الشيوعيين خاصة في المدن (شنغهاي)، ورغم هذه المجزرة الدموية قام شان تو سيو بعقد المؤتمر الخامس في 27 أبريل 1927 في هان كوي، واستطاع أن يفرض على المؤتمر خطا استسلاميا عاما. حضر هذا المؤتمر 80 مندوبا يمثلون 57967 عضوا في الحزب. لم يحضر ماو هذا المؤتمر، الذي تبنى خطا انتهازيا يمينيا، الذي لم يستطع رغم ذلك منع القطيعة النهائية مع حزب الكيومنتانغ خلال نهاية يوليوز 1927، التي أعلنت نهاية المرحلة الأولى من بناء الحزب الشيوعي الصيني.

من الملاحظ أنه خلال هذه الفترة، ابتداء من 1925، فتحت أبواب الحزب على أساس خط سياسي يعطي القيادة للبورجوازية.

3) المرحلة الثانية في بناء الحزب الشيوعي الصيني (1927 ـ 1937)

تمتد هذه المرحلة من 1927 إلى 1937، وتشكل مرحلة أساسية في تصليب الحزب عبر صراع طبقي مكثف بين خطين وطريقين وإيديولوجيتين.

عرفت هذه المرحلة إنشاء "القاعدة الحمراء" في كيانغسي، وامتدت من 1930 إلى 1934، كما عرفت المرحلة "المسيرة الطويلة" (1934 ـ 1935)، وخلال هذه المرحلة انتقل الحزب من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج، وذلك بفضل ماو تسي تونغ، الذي أصبح قائدا للحزب، ابتداء من ندوة تسونيي في 1935، وانطلاقا من هذه الندوة ستتحقق بلشفة الحزب الشيوعي الصيني، وعن هذه المرحلة يقول ماو تسي تونغ في المصدر أعلاه:

"إن المرحلة الثانية كانت هي مرحلة الحرب الثورية الزراعية. وبفضل التجربة المكتسبة خلال المرحلة الأولى، وبفضل فهم أفضل للظروف التاريخية والاجتماعية للصين، وكذلك لخصوصيات وقوانين الثورة الصينية، وبفضل كون أطرنا قد استوعبت بشكل أفضل النظرية الماركسية ـ اللينينية، وأصبحت قادرة بشكل أفضل على ربطها بممارسة الثورة الصينية، أصبح حزبنا قادرا على القيادة إلى النجاح، وخلال عشر سنوات، الثورة الزراعية. لقد خانت البورجوازية، لكن الحزب عرف كيف يعتمد بشكل حازم على الفلاحين، وتطورت تنظيماته من جديد وتعززت. لقد حاول العدو باستمرار ضرب حزبنا، الذي استطاع رغم ذلك أن يطرد المخربين، وظهر عدد جديد وكبير من الكوادر، اللذين أصبحوا العمود الفقري للحزب ... لكن، وخلال هذا النضال الكبير سقط بشكل نهائي، أو لبعض الوقت رفاق في مستنقع الانتهازية ... هكذا، كان بعض أعضاء القيادة في الحزب غير قادرين خلال كل هذه المرحلة على الحفاظ على خط سديد في ميدان السياسة والتنظيم، وخلال مدة تعرض الحزب والثورة إلى أضرار من طرف الانتهازية اليسارية، ولم ينخرط الحزب بشكل نهائي في طريق البلشفة، و وضع الأسس لانتصاره على الانتهازية اليمينية لتشانغ كو تاوو، ومن أجل بناء جبهة متحدة وطنية ضد اليابان، إلا بعد انعقاد ندوة تسونيي".

في 7 غشت 1927، تم استبدال تشان تو سيو ب شو شيو تاي، وهو انتهازي يساري، سيتم استبداله هو كذلك بانتهازي يساري آخر، اسمه لي لي سان خلال المؤتمر السادس المنعقد في موسكو من يوليوز إلى شتنبر 1928، وقد حضره 84 مندوبا يمثلون 40 ألف عضوا في الحزب تقريبا، ولم يشارك ماو تسي تونغ في هذا المؤتمر.

4) المرحلة الثالثة في بناء الحزب الشيوعي الصيني (1937 ـ 1945)

تتميز المرحلة الثالثة بكونها مرحلة تأسيس الجبهة الوطنية المتحدة المعادية لليابان. في سنة 1939، قام الحزب الشيوعي الصيني، بتقديم حصيلة لتجاربه التاريخية تم نشرها في مجلة "الشيوعي"، ومما جاء في الوثيقة ما يلي:

"معزز بتجربة مرحلتين سابقتين من الثورة، وبالاعتماد على تنظيمه الصلب، وقواه المسلحة، وبالاعتماد على تأثيره السياسي وسط كل الشعب، وبفهمه الأكثر عمقا لوحدة النظرية الماركسية ـ اللينينية وممارسة الثورة الصينية، قام الحزب، ليس فقط بتأسيس الجبهة المتحدة الوطنية المناهضة لليابان، بل شرع كذلك في حرب المقاومة.

وعلى المستوى التنظيمي، تجاوز الحزب حدوده الضيقة ليصبح حزبا كبيرا على الصعيد الوطني، كما أن قواته المسلحة تزايد أعدادها من جديد وتصلبت في النضال ضد الغزاة اليابانيين، وهكذا كبر تأثيره وسط الشعب. تلكم انتصارات عظيمة ...".

وعند تسطيره لخلاصات المراحل الثلاثة المدروسة، سطر ماو ما يلي:

"إن 18 سنة من التجربة أظهرت لنا أن الجبهة المتحدة والكفاح المسلح هما الوسيلتان الرئيسيتان للكفاح من أجل هزم العدو. إن الجبهة المتحدة هي جبهة من أجل قيادة الكفاح المسلح. أما الحزب فهو المكافح الجريء، الذي يستعمل هاتان الوسيلتان لمهاجمة مواقع العدو.

تلكم هي العلاقة المتبادلة بين الحزب، الجبهة المتحدة والكفاح المسلح. كيف سنقوم اليوم ببناء حزبنا؟

كيف يمكننا بناء حزب شيوعي صيني مبلشف ... حزب صلب جدا من وجهة نظر الإيديولوجيا والسياسة والتنظيم؟

من أجل الإجابة، علينا دراسة تاريخ حزبنا وبحث مسألة بناء الحزب في ارتباط مع بناء الجبهة المتحدة والكفاح المسلح، وبارتباط مع التحالف مع البورجوازية والنضال ضدها، ثم بارتباط مع متابعة حرب الأنصار ضد اليابان، وبناء القواعد المناهضة لليابان من طرف الجيش الثامن والجيش الرابع الجديد".

خلال المرحلة الثالثة لبناء الحزب الشيوعي الصيني، تم تحويل الجيش الأحمر (الذي تم تأسيسه خلال انتفاضة نانتشانغ في فاتح غشت 1927) إلى الجيش الثامن والجيش الرابع الجديد. تحت قيادة الحزب، قام الجنود الشعبيون بتحرير مناطق تضم 100 مليون من السكان، ثم قبل الانتصار النهائي على اليابان بقليل، انعقد المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الصيني في أبريل 1945 بيونان حضره 544 مندوبا و200 مرشح، يمثلون مليون و200 ألف عضوا، لقد كان المؤتمر انتصارا عظيما، جمع الحزب حول شخص ماو تسي تونغ، الذي قدم تقريره تحت عنوان "في حكومة الائتلاف" وذلك من أجل التهيء للظروف الأكثر ملائمة لانتصار ثورة "الديموقراطية الجديدة".

5) المرحلة الرابعة في تأسيس الحزب الشيوعي الصيني (1945 ـ 1949)

بعد استسلام اليابان في نهاية حرب المقاومة، انفتحت المرحلة الأخيرة المؤدية إلى انتصار ثورة الديموقراطية البورجوازية (ثورة من طراز جديد)، فانطلقت حرب التحرير الشعبية، التي امتدت من 1945 إلى 1949.

لقد كان الخط السياسي للحزب، الذي بلوره ماو تسي تونغ، يعتمد على المقولات التالية:

"استعملوا بجرأة الجماهير، وقوموا بتنمية قواها، وذلك من أجل، وتحت قيادة حزبنا، أن تضع حدا للمعتدي وتقوم ببناء صين جديدة".

عند هزيمة اليابان كان جيش التحرير الشعبي يضم مليون جندي، وانطلاقا من هذه القوة وتحت قيادة الحزب والرئيس ماو، وبدعم نشيط لأوسع الجماهير في المناطق المحررة، وكذلك في المناطق التي لا زالت خاضعة لاضطهاد العصابات التشانغكايتشيكية، استطاعت أن تحطم ثمانية ملايين من قوات العدو، والاستيلاء على الجزء الأكبر من أسلحتها من كل نوع، تلك الأسلحة التي وضعتها في أيديها الامبريالية الأمريكية. قام الجيش الشعبي للتحرير، الذي بناه الحزب الشيوعي الصيني وقاده بتحرير مجموع التراب الصيني باستثناء جزيرة تايوان، التي نادى إليها العملاء المجرمون لعصابة تشانغ كاي شك. هكذا خلق الوضع التاريخي الضروري ليتم التأسيس والإعلان عن ولادة الجمهورية الشعبية الصينية، لقد وقف الشعب الصيني على رجليه، كما قال ماو تسي تونغ في تاريخ الإعلان في بيكين.

في مقالته الشهيرة حول "الدكتاتورية الديموقراطية الشعبية" الصادرة في 30 يونيو 1949، قال ماو:

"حزب منضبط، مسلح بالنظرية الماركسية ـ اللينينية، يمارس النقد الذاتي، ومرتبط بالجماهير الشعبية، جيش يقوده حزب من هذا الطراز، جبهة متحدة لكل الطبقات الثورية، يقودها حزب من هذا النوع، إنها الأسلحة الثلاثة الرئيسية، التي عن طريقها استطعنا هزم العدو".

6) من الديموقراطية الجديدة إلى دكتاتورية البروليتاريا (1949 ـ 1953 ـ 1956)

لقد أظهرت التجربة التاريخية الصينية، أن بناء الحزب الماركسي ـ اللينيني، سواء على المستوى الإيديولوجي، السياسي أو التنظيمي، لا يمكن اعتبارها منتهية حتى في ظل سيادة نظام دكتاتورية البروليتاريا، ذلك أنها تظل خاضعة لصراع الخطين والطريقين بين الإيديولوجيتين الطبقتين المتعاديتين.

لقد كان ماو مستنيرا وحذرا عندما كتب قبل انتصار الثورة في 1949 ما يلي:

"قد يكون هناك من هؤلاء الشيوعيين، اللذين لم يستطع العدو المسلح هزمهم، وقد تصرفوا تجاه العدو كأبطال جديرين بهذا الاسم، لكنهم عاجزون عن مقاومة الرصاص المغلف بالسكر، فيسقطون تحت نيران هذا الرصاص".

بعد هذا القول، توجه ماو بالكلام إلى مجموع مناضلي الحزب:

"على الرفاق أن يظلوا متواضعين، حذرين، ألا يكونوا مدعين وطائشين في أسلوب عملهم، وليثابروا في أسلوب حياتهم البسيط، ونضالهم المستميت".

بعد 1949، تمظهر التناقض بين الطبقة العاملة والبورجوازية بشكل حاد في مسألة معرفة، هل يجب التوجه نحو دكتاتورية للبورجوازية أو نحو دكتاتورية البروليتاريا.

قام الحزب بتعبئة قوتين أساسيتين، الجيش الشعبي للتحرير، الذي يضم ملايينا من الجنود، واللذين تم استعمالهم في تعبئة القوة الثانية، الجماهير، وذلك للنهوض بالمهام العاجلة لبناء الوطن. وساند الجنود والجماهير الحركة من أجل الإصلاح الزراعي، مستمرين في النضال ضد القوى المضادة للثورة والرجعيين، كما قدموا دعما أمميا للشعب الكوري.

وخلال ثلاث سنوات، وبفضل نشاط الجماهير الحماسي تحت قيادة الحزب، خرج الاقتصاد الصيني من الفوضى، وانتقلت "الديموقراطية الجديدة" نحو "الديموقراطية الشعبية"، أي نحو دكتاتوريا البروليتاريا.

هكذا، وفي سنة 1953، وبإخلاص تام لنظرية لينين حول المرحلة الانتقالية، قام ماو تسي تونغ بتحديد الخط العام للحزب الشيوعي الصيني، وذلك بالدعوة إلى "التحقيق التدريجي، ولفترة طويلة بما يكفي، التصنيع الاشتراكي للبلد، والتحويل الاشتراكي من طرف الدولة للزراعة والصناعة التقليدية، وكذلك الصناعة والتجارة الرأسماليتين. لقد تم تحقيق هذه الأهداف بالنسبة للأساسي منها سنة 1956، رغم التقويض الممارس داخل الحزب و وسط السكان من طرف أنصار التطور المزعوم الضروري، من أجل تنمية القوى المنتجة الرأسمالية، وقد كان ليو شاو شي على رأس هذا الاتجاه.

7) الطريق الرأسمالي أم الطريق الاشتراكي 1956 ـ 1966

انعقد المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني في شتنبر 1956، وحضره 1026 مندوبا، يمثلون 10 ملايين و730 ألف عضوا. خلال هذا المؤتمر، استطاع أنصار الخط اليميني بقيادة ليو شا وشي أن يسربوا خطهم المساند للطريق الرأسمالي،

ويعززوا مكانتهم داخل الحزب، فليس غريبا أن يعين ليو شا وشي رئيسا للحزب الشيوعي الصيني، فاستغل سلطته لإعطاء مناصب قيادة في الحزب إلى أنصاره، مجموعة من التحريفيين الخاضعين للبورجوازية وللخونة التحريفيين في موسكو.

إنها المرحلة التي ستظهر فيها في صفوف الحزب، خاصة بين صفوف الموظفين، اللذين يتحملوا مجموعة من المسؤوليات، وبين قادة ومجموعة من الأطر المسؤولة، ظاهرة التبرجز بشكل واسع، تبعها مباشرة قطيعة مع أوسع الجماهير الشعبية.

في 27 فبراير 1957، ألقى ماو تسي تونغ خطابا هاما تحت عنوان "في المعالجة الصحيحة للتناقضات في صفوف الشعب"، وخلال الدورة الثانية للمؤتمر الثامن (ماي 1958) استطاع ماو أن ينتصر واضعا خطا عاما لبناء الاشتراكية في الصين تحت شعار "القيام بكل المجهودات، السير إلى الأمام، كمية، سرعة، كيفية واقتصاد".

إن هذا الخط يوافق الانتصار، الذي تحقق في التحويل الاشتراكي للصناعة والزراعة والتجارة والصناعة التقليدية، وفي نفس الوقت، تم اعتماد هذا الانتصار المكتسب كدعامة من أجل تحقيق "قفزة إلى الأمام" بالنسبة للاقتصاد الصيني، لكن التحريفيين وأعداء الطبقة العاملة لم يتوقفوا عن تقويض الخط الصحيح لماو تسي تونغ والحزب الشيوعي الصيني، مستفيدين في ذلك من المواقع التي احتلوها داخل الحزب والدولة، وبدعم من التحريفية العالمية بقيادة الاتحاد السوفياتي. ولذلك عرفت هذه المرحلة صراعا طبقيا حادا بين خطين وطريقين وإيديولوجيتين "إيديولوجية البورجوازية وإيديولوجية البروليتاريا.

خلال الدورة العاشرة للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الثامن، المنعقدة في شتنبر 1962، سيحاول ماو مرة أخرى انتقال إلى الهجوم، فأطلق شعاره التاريخي: **"يجب عدم نسيان صراع الطبقات"**.

بدأ ماو يشتغل على الجانب الإيديولوجي للمعركة ضدا على الأطروحات اليمينية التحريفية، التي بدأت تستعمل الأدب والفنون كمجال لبث أطروحاتها الرجعية.

لقد تميزت المرحلة على المستوى الدولي بانتصار الخط التحريفي في الاتحاد السوفياتي، وانتشار ذلك في أوروبا الشرقية، و وسط أغلبية الأحزاب الشيوعية العالمية، وعرفت مجموعة من الدول الاشتراكية سابقا هزات ومظاهرات كان لها الأثر الكبير على مستقبل الحركة الشيوعية العالمية، وشكلت هذه التطورات مادة خصبة لتفكير ماو حول مستقبل الحركة الشيوعية العالمية بعد سقوط النموذج السوفياتي على يد جماعة من الخونة يتزعمهم نيكيتا خروتشوف.

عندما حانت ساعة الحقيقة، زف ماو تسي تونغ إلى العالم مشروعه الثوري حول الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. وعندما اندلعت هذه الأخيرة بعدما انتقل الخط الثوري إلى الهجوم، قام ماو تسي تونغ بنشر ملصقه الحائطي، الذي حمل عنوان "لنطلق النار على الأركان العامة".

دون الدخول في تفاصيل الثورة الثقافية الصينية (انظر المقالات الصادرة في موقع "الشرارة" حول هذا الموضوع) يمكن القول أن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى جاءت كضرورة ملحة من أجل تعزيز دكتاتورية البروليتاريا وتلافي عودة الرأسمالية وترسيخ الاشتراكية، وقد قام المؤتمر التاسع للحزب في أبريل 1969 بمحاولة ترسيخ انتصارات الثورة الثقافية،

ولم يخرج عن هذا الاتجاه المؤتمر العاشر للحزب المنعقد في 24 غشت 1973، والذي سمي بمؤتمر الوحدة و انتصار خط ماو تسي تونغ.

II - دروس التجربة الخاصة للحزب الشيوعي الصيني في بناء الحزب الماركسي ـ اللينيني:

يمكن تكثيف هذه الخلاصات لتجربة بناء الحزب في مجموعة من النقط:

1) ضرورة التمييز بين ما يقدم مصلحة عامة كونية وما يتميز بطابع خاص، بالنسبة للصين وبشكل عام بالنسبة لبناء حزب ماركسي ـ لينيني. والمقصود بالعام هي المبادئ الأساسية للماركسية ـ اللينينية، أما المقصود بالخاص هو الظروف الخاصة للثورة الصينية ولأي ثورة أخرى في العالم.

2) استخلاص دروس بناء الحزب الشيوعي الصيني على المستوى الإيديولوجي وعلى المستويين السياسي والتنظيمي، لكن سيكون أمرا تعسفيا وخاطئا القيام بترتيب هاته المستويات حسب معايير تناسب هذه المستويات الثلاث، ذلك أن كل خلاصة من هاته الخلاصات تتضمن في غالب الأحيان مضمونا ثلاثيا إيديولوجيا، سياسيا وتنظيميا.

3) مواجهة الدوغمائية ومحاربة محاولات نقل وتكرار التجارب.

يحكى أن ماو تسي تونغ، عندما استقبل وفدا من المناضلين الماركسيين – اللينينيين الأجانب، اللذين تحمسوا لكل ما رأوه وتعلموه خلال زيارتهم للصين، قدم لهم نصيحة مفادها هو أن عليهم نسيان كل هذا، عندما سيعودون إلى بلدانهم الخاصة، وذلك من أجل التركيز بشكل أساسي على دراسة وتحليل الظروف الخاصة لثوراتهم، لقد كان درسا ثمينا وذا أهمية

خاصة، ذلك أنه عند ماو تسي تونغ ما يهم هو المبادئ الماركسية ـ اللينينية الأساسية، التي يجب تعلم تطبيقها على الواقع الخاص.

عند تقديمه لحصيلة الحزب الشيوعي الصيني خلال 18 سنة، كتب ماو تسي تونغ في مجلة "الشيوعي":

"منذ أن عقد حزبنا مؤتمره الأول في سنة 1921، انقضت منذ ذلك الحين 18 سنة ... منذ ثلاث سنوات يوجد في مرحلة الجبهة المتحدة الوطنية مع البورجوازية. ومن خلال العلاقات المعقدة مع هاته الأخيرة، تطورت الثورة والحزب الشيوعي في الصين. إن هاته الخاصية التاريخية، الخاصة بالثورة في بلد مستعمر وشبه مستعمر، يمكن أن نجدها في تاريخ أي ثورة في بلد رأسمالي".

ويواصل ماو في مكان أخر في نفس المقالة:

"من جهة أخرى، الصين بلد شبه مستعمر وشبه إقطاعي، حيث التطور السياسي والاقتصادي والثقافي غير متساو، بلد بمساحة شاسعة، حيث يسود اقتصاد شبه إقطاعي. ينتج عن هذا أن طابع الثورة الصينية في مرحلتها الحالية هو ثورة ديموقراطية بورجوازية موجهة بشكل رئيسي ضد الامبريالية والإقطاعية، ثورة تتشكل قواها المحركة الأساسية من البروليتاريا والفلاحين والبورجوازية الصغيرة المدينية، وتشارك فيها خلال بعض الفترات، وإلى حد ما، البورجوازية الوطنية، ينتج عن هذا كذلك، أن الشكل الرئيسي للنضال في ثورتنا هو الكفاح المسلح، يمكننا أن نقول جيدا، أن تاريخ حزبنا هو تاريخ الكفاح المسلح". "في الصين، كما يقول الرفيق ستالين، الثورة المسلحة تناضل ضد الثورة المضادة المسلحة، فهنا إحدى خصوصيات، وإحدى امتيازات الثورة الصينية" (ستالين، "آفاق الثورة الصينية").

بناء عليه، فإن الثورة الديموقراطية البورجوازية في الصين لها طابعان أساسيان:

1) تقوم البروليتاريا ببناء جبهة وطنية ثورية مع البورجوازية، وتقوم بحلها إذا فرض عليها ذلك.

2) إن الكفاح المسلح هو الشكل الرئيسي للثورة، وإذا لم نقم باعتبار علاقات الحزب مع الفلاحين والبورجوازية الصغيرة المدينية، كميزة أساسية، فذلك لأن هذه العلاقات هي من جهة، مبدئيا نفسها بالنسبة للأحزاب الشيوعية في العالم، ومن جهة أخر، فالكفاح المسلح في الصين، هو في العمق حرب فلاحية.

إن بناء الحزب الشيوعي الصيني قد تمت في ظروف خاصة، يقول ماو تسي تونغ في مقالته الشهيرة "لماذا يمكن أن توجد السلطة الحمراء في الصين"، والذي كتبه في 3 أكتوبر 1927، كرد على المشككين في ذلك، وكتبرير لنشوء القاعدة الحمراء في شمال شرق الصين، حيث كانت القاعدة الحمراء محاصرة من طرف السلطة البيضاء، سطر ماو شروط وجودها وتطورها وبقائها:

" لا يمكن أن ينتج في أي بلد إمبريالي، ولا حتى في مستعمرة توجد تحت سيطرة مباشرة للإمبريالية، لا يمكن أن ينتج ذلك إلا في بلد متخلف اقتصاديا، شبه مستعمر كما هي الصين، التي توجد تحت سيطرة غير مباشرة للإمبريالية".

إن ملاحظة ماو تظل صحيحة بالنسبة للدول الامبريالية، لكن الوضع سيتغير بعد الحرب العالمية الثانية، حيث انهارت الدول الامبريالية ما عدا الولايات المتحدة الأمريكية، وانتصرت الثورة الصينية، وتحررت أوروبا الشرقية من الفاشية والنازية، فأصبح بإمكان المستعمرات تحت السيطرة المباشرة للإمبريالية أن يخلق مناضلوها الشيوعيون مناطق محررة ويؤسسوا سلطا حمراء.

III- خمسون سنة من النضال: ثمان خلاصات

بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني (في فاتح يوليوز 1971، أصدرت هيآت التحرير لثلاث صحف حزبية تابعة للحزب الشيوعي الصيني، افتتاحية بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الحزب، تحت عنوان: ""لنحيي الذكرى الخمسين للحزب الشيوعي الصيني 1921-1971"، والصحف المعنية هي: renmin ribao- Honqqi ـ Jiefangjum bao) صدرت افتتاحية رصدت فيها أهم دروس وخبرات بناء الحزب الشيوعي الصيني، وذلك من خلال تقديم ثمان نقط أساسية، تعكس أهم تلك الدروس، وهي:

1 ـ ضرورة التقيد بحزم بالمبدأ الإيديولوجي، الذي اتبعه الحزب المتمثل في تحقيق وحدة الحقيقة الكونية للماركسية ـ اللينينية مع الممارسة الملموسة للثورة الصينية ضمن مفهوم للعالم يقوم على المادية الجدلية والمادية التاريخية.

"على رفاق حزبنا أن يربطوا دراسة الماركسية ـ اللينينية بنقد التحريفية الحديثة القائمة داخل البلد وخارجه، تعلم التمييز، داخل النضال، بين الماركسية الحقيقية والماركسية المزيفة، والوصول فعلا إلى استيعاب الماركسية".

2 ـ **"علينا خوض النضال بشكل سديد داخل الحزب، التمييز، وحل التناقضات ذات الطابع المختلف بشكل صحيح، التناقضات بيننا وبين أعدائنا والتناقضات في صفوف الشعب، تلك هي الضمانة الأساسية لتعزيز وحدة الحزب القائمة على قاعدة المبادئ الماركسية ـ اللينينية وأفكار ماو تسي تونغ، وذلك حتى يتمكن الحزب من قيادة البروليتاريا والجماهير الثورية، في نضال حتى النصر ضد العدو. من أجل هذا، يجب أن نطبق طريقة حل التناقضات مع كل رفيق سقط في الخطأ لتلافي تكراره ومعالجة الداء من أجل إنقاذ الإنسان".**

3 ـ **"يجب تجنب التكبر".**

قال ماو:

"نحقق التقدم عندما نكون متواضعين، بينما التكبر يعود بنا إلى الوراء: لنجعل هذه الحقيقة حاضرة دائما في أذهاننا".

4 ـ علينا الالتزام ب "نظرية النقطتين وليس نظرية النقطة الواحدة".

كل ظاهرة لا تقدم لنا فقط جانبا واحدا بل جانبين، الوجه الأول للعملة و وجهها الآخر، أي ضدها، فعلينا مثلا، عندما نحقق الوحدة، أن نستمر في الصراع. وإذا استمررنا في الصراع علينا ألا نتخلى عن الوحدة، بمعنى ربط الوحدة بالصراع، فهذا هو الموقف الصحيح الذي يسمح بتحقيق انتصار في بناء الجبهة المتحدة.

5 ـ **"علينا الالتزام بخط الجماهير"** من خلال تطبيق مبدأ **"الانطلاق من الجماهير من أجل العودة إليها"، "مركزة أفكار الجماهير وإعادتها إليها، وذلك من أجل أن يتم تطبيقها بحزم"،** وفي نفس الوقت، تبني مبدأ **"الاستقلال والحرية الذاتية، والاعتماد على قوانا الذاتية"،** ذلك أنه لنا الثقة في أن **"الشعب، والشعب وحده هو القوة المحركة وخالق التاريخ الكوني".**

6 ـ **"يجب الالتزام بالمركزية الديموقراطية".**

"علينا أن نخلق داخل الحزب وخارجه مناخا سياسيا، تسود فيه في نفس الوقت، المركزية الديموقراطية، الانضباط والحرية، وحدة الإرادة، ولكل فرد نوفر حالة ذهنية ممزوجة بالارتياح والبهجة. إن حزبنا، حزب مكافح، والحال أنه

بدون مركزية وبدون انضباط، وبدون وحدة إرادة سيكون من المستحيل عليه أن يهزم العدو، لكن، بدون ديموقراطية، لا يمكن أن تكون هناك مركزية سديدة، فلهذا السبب كان الرفيق ماو تسي تونغ يعارض استفراد شخص واحد بحق الكلمة، ويشجع الجميع عل إبداء رأيه، وكان يدعو إلى الصراحة في الحديث. وجعل من الممارسة الجريئة للنقد والنقد الذاتي إحدى **الشروط المطلوبة، من أجل أن نكون المواصلين للقضية الثورية للبروليتاريا".**

7 ـ "علينا بناء جيش شعبي قوي".

"بدون جيش شعبي لا يملك الشعب شيئا"، "إن مبدأنا هو، الحزب يوجه البنادق، ومن غير المقبول أن توجه البنادق الحزب".

في كل وضعية محددة، علينا أخذ أسوء الحالات بعين الاعتبار، والاستعداد لمواجهتها، وإذا لم يحدث ذلك، فذلك أمر حسن، وإذا حدثت نكون قد توفرنا على أحسن استعداد من أجل انتصار.

8 ـ "يجب الالتزام بالأممية البروليتارية".

يقول ماو:

"حسب وجهة النظر اللينينية، فإن الانتصار النهائي لبلد اشتراكي يتطلب، ليس فقط، مجهودات البروليتاريا وأوسع الجماهير الشعبية في هذا البلد، بل يعتمد كذلك على انتصار الثورة العالمية، والقضاء على نظام استغلال الإنسان للإنسان، الذي يأتي بالتحرر للإنسانية جمعاء".

"مع ذلك، فحتى في بضع عشرات السنين، حينما تصبح الصين بلدا اشتراكيا قويا، علينا أن نحتاط دائما من كل غطرسة، تخلقها شوفينية الحزب الكبير (المقصود هنا علاقة الحزب الشيوعي الصيني بباقي الأحزاب الشيوعية الأخرى في العالم)**. علينا دائما أن نحتفظ في أذهاننا بتعاليم ماو: "في العلاقات الدولية، علينا نحن الصينيين تصفية شوفينية الدولة العظمى بحزم، وبشكل جذري وكامل وشامل".**

في سياق الصراع الذي خاضه الحزب الشيوعي الصيني ضد تحريفية الحزب الشيوعي السوفياتي، وأمام الحركة الشيوعية العالمية، تقدمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بوثيقة هامة تحت عنوان "اقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية"، وذلك سنة 1963.

تعرف هاته الوثيقة كذلك ب "وثيقة 25 نقطة"، ويقال أن ماو تسي تونغ أشرف على صياغتها بنفسه، وستصبح لاحقا إحدى الوثائق الأساسية للحركة الشيوعية العالمية الجديدة، إنها الحد الفاصل بين الشيوعيين الماركسيين ـ اللينينيين الثوريين والتحريفية العالمية بقيادة الاتحاد السوفياتي، وننقل هنا النقطة 24 من الوثيقة، التي تركز وجهة نظر الماركسيين ـ اللينينيين في مسألة الحزب الثوري للبروليتاريا.

"إنّ التجربة البالغة الأهمية التي جنتها الحركة الشيوعية العالمية هي أن تطوّر الثورة وانتصارها يرتكزان على وجود حزب بروليتاري ثوري.

لا بدّ من وجود حزب ثوري.

لا بدّ من وجود حزب ثوري مبني على أساس النظرية الثورية والأسلوب الثوري للماركسية اللينينية.

لا بدّ من وجود حزب ثوري يعرف كيف يمزج بين حقيقة الماركسية ـ اللينينية العامة وبين الأعمال المحدّدة للثورة في بلاده.

لا بدّ من وجود حزب ثوري يعرف كيف يربط القيادة ربطا وثيقا بالجماهير الواسعة من الشعب.

لا بدّ من وجود حزب ثوري يثابر على الحقيقة ويصلح الأخطاء ويعرف كيف يباشر النقد والنقد الذاتي.

مثل هذا الحزب الثوري فقط بوسعه أن يقود البروليتاريا والجماهير الواسعة من الشعب لهزيمة الاستعمار وعملائه ويكسب النصر التام في الثورة الوطنية الديمقراطية ويكسب الثورة الاشتراكية.

وإذا لم يكن حزبا ماركسيّا ـ لينينيّا بل حزبا تحريفيا، وإذا لم يكن حزبا طليعيا للبروليتاريا بل حزبا يسير خلف البرجوازية، وإذا لم يكن حزبا يمثّل مصالح البروليتاريا وجميع جماهير الشغيلة بل حزبا يمثّل مصالح الأرستقراطية العمالية، وإذا لم يكن حزبا أمميّا بل حزبا قوميّا، وإذا لم يكن حزبا بوسعه أن يستخدم عقله ويفكر لنفسه بنفسه ويحرز معرفة صحيحة لاتجاهات الطبقات المختلفة في بلاده نفسها، عن طريق البحث الجاد والدراسة ، ويعرف كيف يطبّق حقيقة الماركسية ـ اللينينية العامة ويمزجها بالأعمال المحدّدة لبلاده ، إذا لم يكن هكذا ، بل كان حزبا يردّد كالببغاء كلمات الآخرين، وينقل الخبرة الأجنبية دون تحليل، ويندفع هنا وهناك استجابة لعصا إرشاد اشخاص معيّنين في الخارج، فإنّ حزبا كهذا يصبح خليطا من التحريفية والجمود العقائدي و كلّ شيء ما عدا المبدأ الماركسي ـ اللينيني.

من المستحيل تماما على حزب كهذا أن يقود البروليتاريا والجماهير الشعبية الواسعة إلى شنّ نضال ثوري وأن يكسب الثورة وأن يؤدّي الرسالة التاريخية العظيمة للبروليتاريا.

إنّ هذه مسألة على جميع الماركسيين ـ اللينينيين وجميع العمّال الواعين طبقيّا وجميع الطليعيّين أن يفكّروا فيها تفكيرا عميقا".

القسم السادس

الحزب الشيوعي الفيتنامي وملاحم الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية في الفيتنام

تقديم

تعتبر الثورة الفيتنامية النموذج الثالث الأهم والناجح في تاريخ الحركة الشيوعية العالمية، من حيث التطبيق الخلاق للماركسية – اللينينية على الواقع التاريخي الملموس لبلد كان يعيش وضعا استعماريا وشبه إقطاعي.

لقد كان الشعب الفيتنامي يشكل أمة عاشت 4000 آلاف من التاريخ، ترسخت خلالها تقاليد النضال التحرري ضد المحتل المعتدي وضد الطبقات الحاكمة، وخلال هذا النضال الطويل والعنيد، اكتسب الشعب الفيتنامي بشكل مبكر وعيا وطنيا.

عندما استعمر الفرنسيون البلاد استسلم الملاكون العقاريون الإقطاعيون، وفي مقدمتهم بلاط أسرة نغوين، بينما ظل الشعب الفيتنامي ينتفض بلا انقطاع حاملا السلاح ضد المحتلين و الخونة، لحد أن الاستعماريين الفرنسيين اضطروا من أجل إقامة سيطرتهم إلى خوض حرب طويلة ضد الشعب الفيتنامي دامت ثلاثين سنة (1858 – 1884).

بطبيعة الحال، كان هدف الكولونياليين الفرنسيين هو تحويل الفيتنام إلى سوق لتصريف بضائعهم ونهب المواد الخام، واستغلال اليد العاملة الفيتنامية بأبخس الأثمان، وتحويل الشعب الفيتنامي إلى لحم للمدافع. وفي سياق سياساتهم الاستعمارية، حافظوا على النظام الإقطاعي جاعلين منه أداة لقمع واستغلال الشعب الفيتنامي، ومحولين الفيتنام إلى بلد كولونيالي وشبه كولونيالي يتميز بتناقضين أساسيين:

- التناقض بين الأمة الفيتنامية والامبريالية الفرنسية

- التناقض بين الشعب الفيتنامي، وطبقة الفلاحين بصورة رئيسية وبين طبقة الملاكين العقاريين الإقطاعيين

منذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى الفيتنام، قامت حركات مقاومة ضد الامبرياليين الفرنسيين، أخفقت كلها إلى أن تم تأسيس الحزب الشيوعي الفيتنامي، ذلك أنه لم يكن بالإمكان حل التناقض بين الأمة الفيتنامية و الغزاة الاستعماريين، لأنه لم يكن لدى الشعب الفيتنامي نهجا ثوريا يلائم العصر التاريخي الجديد، الذي فتحته الثورة البلشفية في أكتوبر 1917، لتعتبر المرحلة عصر الامبريالية و الثورات البروليتارية، التي أسس لينين نظريتها الثورية، بالنسبة للثورة في الدول الرأسمالية، و كذلك الثورة في الدول المستعمرة و شبه المستعمرة، و بناءا عليه، فإن الشعب الفيتنامي، رغم تضحياته الجسام، لم يكن يتوفر على كافة الشروط المطلوبة لقيادة ثورة التحرر الوطني إلى النصر .

لقد دشنت الثورة البلشفية بالفعل، عصرا جديدا في تاريخ البشرية، هو عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية على النطاق العالمي. استنادا إلى هذه الأطروحة، فإن ثورة التحرر الوطني في البلدان المستعمرة سوف تشكل، منذ انتصار الثورة الروسية، وبعدئذ، جزءا لا يتجزأ من الثورة البروليتارية.

في الفيتنام، استسلمت طبقة الملاكين العقاريين الإقطاعيين للمحتلين الفرنسيين، أما البورجوازية فقد تأخرت في النشوء، وتعرضت إلى الاستعباد الاستعماري، فكانت ضعيفة اقتصاديا وسياسيا، وكانت تسعى إلى تسويات تنازلية مع المحتل، بينما كان الفلاحون والبورجوازية الصغيرة، يطمحون إلى الاستقلال والحرية، لكنهم كانوا يجدون أنفسهم في مأزق إيديولوجي

وطريق مسدود. أما الطبقة العاملة فلم تصبح قوة سياسية ذات أهمية إلا بعد الحرب العالمية الأولى، ومن خاصياتها أنها ولدت قبل البورجوازية.

في هذه الظروف سيتبين للطلائع الثورية أن الطبقة العاملة الفيتنامية، التي كانت خاضعة للنير المثلث: نير الاضطهاد والاستغلال الامبريالي، والإقطاعي، والبورجوازي، كانت تمثل القوى المنتجة الأكثر تقدما، تعمل في المراكز الاقتصادية للمستعمر، وتمثل بالفعل الطبقة الوحيدة التي تجتمع لديها الشروط للظفر بالتفوق السياسي في البلاد بأسرها.

ا – الرفيق نغوين أي كوك (هو شي منه) وبناء الحزب الشيوعي الفيتنامي

كان الرفيق هو شي منه، أول فيتنامي اكتشف إمكانات الطبقة العاملة الفيتنامية وتعرف على وضعها، فمنذ عشرينيات القرن الماضي، وبعد اطلاعه على مختلف التجارب والخطوط الثورية شرقا وغربا، وتعرف على اختلافاتها سيتوصل إلى خلاصة مفادها أنه:

"في سبيل إنقاذ البلاد وتحرر الأمة، لا طريق سوى طريق الثورة البروليتارية".

هكذا، انطلق هوشي منه يبذل الجهود لنشر الماركسية – اللينينية، والإعداد لتأسيس حزب الطبقة العاملة الفيتنامية. لقد كان لدى هو شي منه تجربة كبيرة في الحركة العمالية الفرنسية، و يعتبر من اللذين ساهموا في تأسيس الحزب الشيوعي الفرنسي، كما يشهد على ذلك انعقاد مؤتمر تور في دجنبر 1920، حيث وقف في صف الأممية الشيوعية و خط الرفيق لينين، و باستيعابه الجيد لأطروحات لينين حول المسألة القومية، وقضية المستعمرات و شبه المستعمرات، أدرك بشكل مبكر أن الامبريالية تشكل العدو المشترك للطبقة العاملة و لشعوب المستعمرات ، فدعا إلى التضامن بين الثورة الفرنسية و

الثورة الفيتنامية، وأرسى أسس التعاضد بين شعوب المستعمرات الفرنسية من جهة، و الطبقة العاملة و الشعب الفرنسي الشغيل من جهة أخرى .

لقد تجمعت في شخصية هو شي منه، واندمج في تلاحم، الوعي الوطني والوعي الطبقي، لقد كان الرفيق يجسد بالفعل تحالف الوطنية الثورية مع الأممية البروليتارية.

لقد كانت لهو شي منه نشاطات ثورية وكتابات ومقالات نشرت في جريدة "لومانيتي" (صحيفة الحزب الشيوعي الفرنسي) و "الحياة العمالية" لسان "الكنفدرالية العامة للعمل" و "لوباريا"، التي كان مؤسسها، ومن أشهر كتاباته في المرحلة الأولى "مسيرة الاستعمار الفرنسي" 1925 و "طريق الثورة" 1927، كل هاته المقالات والكتابات وغيرها حفزت الحركة الثورية في البلاد وحثت الوطنيين الفيتناميين على الانخراط في طريق الماركسية – اللينينية.

هكذا إذن، وبفضل الجهود التي تفانى فيها هو شي منه، اخترقت الماركسية – اللينينية وتأثير ثورة أكتوبر 1917، ذلك الستار الحديدي، الذي وضعه المستعمرون الفرنسيون لكيلا ينتشر الفكر الثوري في الفيتنام. وبطبيعة الحال، سيستقبل الثوريون الفيتناميون، خاصة فئة المثقفين الشباب بحماسة كبيرة، النظرية الماركسية – اللينينية، ولم يكن من السهل عليهم الانتقال من مفهوم الوطنية القديم إلى مفهوم الماركسية – اللينينية للوطنية.

نظرا لتعقد الوضع في الفيتنام، كان بالإمكان أن يفهم تأسيس حزب بروليتاري فهما غير سليم و سيء، و يؤدي إلى انشقاق في الحركة الوطنية، و هي في إبان غليانها، لقد كان الفيتنام بلدا مستعمرا و متخلفا اقتصاديا لا يعرف تقاليد اشتراكية، سواء عند الفلاحين أو عند البورجوازية الصغيرة، و لا حتى عند الطبقة العاملة، فبات من الضروري و الحالة هذه، إنشاء تنظيم

متكيف مع جميع هذه الطبقات، يسمح بتشجيع اتصالها بالماركسية – اللينينية، و تعويدها على تطبيقها في النضال الوطني، و هذا التنظيم، الذي كان له طابع انتقائي سيأخذ إسم "رابطة شبيبة فيتنام الثورية" التي أسسها الرفيق هوشي منه و وطنيون آخرون سنة 1925، و شكل "فريق الشيوعيين" نواة هامة داخلها، و كان هدفها الإعداد لتأسيس الحزب الشيوعي الفيتنامي .

ابتداء من 1924، بدأ نضال التحرر الوطني و الصراع الطبقي يشتدان في الفيتنام، وكانت القوى الثورية، كما قوى الثورة المضادة ينشران برامجهما السياسية من أجل استقطاب الجماهير، ورغم سرية تنظيم "الرابطة"، ورغم القمع الإرهابي الذي تعرضت له، فقد هاجمت مزاعم المستعمرين الفرنسيين و خدامهم من الخونة، وفي نفس الوقت ناضلت بشكل فعال ضد النزعات البورجوازية والبورجوازية الصغيرة للقومية الإصلاحية و القومية الضيقة، و استمرت الحركة الثورية في النهوض خلال سنتي 1926 - 1927 عرفت خلالها "رابطة شبيبة فيتنام الثورية" تطورا قويا جعل من أعضائها المنبثقين من الأنتلجنسيا (البورجوازية الصغيرة) "يكتسبون الطابع البروليتاري" في المناجم والمصانع والضيعات الزراعية، و كانوا يقومون بالدعاية و التحريض و التعبئة الثورية في صفوف الطبقة العاملة، ينظمونها، و يقودون نضالها، مساعدين بذلك الطبقة العاملة على أن تعي مهمتها التاريخية، و في نفس الوقت، كانوا يسعون بدأب ليزدادوا هم أنفسهم صلابة، و يصبحوا مناضلين ثوريين حقيقيين. وبفضلهم أخذت الحركة العمالية تشتد قوة خلال عامي 1928 – 1929 منتقلة من النضال الاقتصادي إلى النضال السياسي.

بالإضافة إلى الحركة العمالية، كانت حركات نضال الفلاحين والبورجوازية الصغيرة للمدن تعرف غليانا هائلا. كل هذه الحركات اندمجت متلاحمة في مد جبار للتحرر الوطني والمطالبات الديموقراطية في البلاد عامة، وخلال هذه الحقبة

أصبحت الطبقة العاملة الفيتنامية قوة سياسية مستقلة، وهكذا تجمعت الظروف، التي جعلت تأسيس حزب شيوعي للطبقة العاملة لتجميع وتنظيم وقيادة جميع القوى الوطنية والتقدمية، مطلبا ملحا للثورة.

II – تأسيس حزب الطبقة العاملة الفيتنامي

بدخول نضال الجماهير مرحلة مد كبير في جميع أنحاء البلاد، لم يعد باستطاعة "رابطة الشبيبة الثورية" أن تؤمن قيادة الثورة فدقت ساعة تأسيس حزب سياسي حقيقي للطبقة العاملة، حزب شيوعي يضطلع بهذه المهمة، وخلال هذه الحقبة، عرفت الرابطة مخاضا ثوريا أدركت معه العناصر المتقدمة والطليعية داخلها تدرك جيدا هذه الضرورة الموضوعية، إلا أن قادتها لم يدركوا ذلك بالإجماع في الوقت الملائم، فلم يكن ممكنا تأسيس حزب شيوعي وحيد منذ البدء. هكذا، تولد من داخل الرابطة تنظيمان شيوعيان:

- الحزب الشيوعي للهند الصينية

- حزب أنام الشيوعي

وأعاد "الحزب الثوري للفيتنام الجديدة" تنظيم نفسه فأصبح "الفدرالية الشيوعية للهند الصينية".

انطلاقا من هذا الوضع، وابتداء من منتصف سنة 1929، وجدت على أرض الفيتنام ثلاث منظمات شيوعية إلا أن هذا التشتت كان قصير الأمد، ذلك أن نضالات القوى الوطنية، خاصة نضالات العمال والفلاحين تحت راية الماركسية – اللينينية سرعان ما انصهرت في تيار وطني ديموقراطي أصبح يتطلب قيادة حزب شيوعي واحد.

هكذا، سيدعو الرفيق هوشي منه في 3 فبراير 1930، باعتباره مندوبا للأممية الشيوعية، ممثلي مختلف الجماعات الشيوعية إلى مؤتمر عقد في كوو لوون، قرب هونكونغ (الصين) بغية توحيد القوى الشيوعية الفيتنامية في حزب شيوعي فيتنامي.

اتخذ هذا المؤتمر من أجل تأسيس الحزب طابع مؤتمر كبير، وقد أقر برنامجا سياسيا واستراتيجية عرضهما هو شي منه بإيجاز. ترسم الوثيقتان للثورة الفيتنامية نهجا أساسيا صحيحا سوف تعتمد عليه اللجنة المركزية للحزب لصياغة موضوعاتها السياسية، ويقوم هذا النهج على قيادة الثورة الديموقراطية البورجوازية، بما في ذلك الثورة الزراعية للإطاحة بالإمبرياليين والإقطاعيين، وجعل الفيتنام بلدا مستقلا يتقدم نحو الاشتراكية والشيوعية. ولتحقيق ذلك، كانت هناك ضرورة لبناء حزب الطبقة العاملة، وإنشاء جيش من العمال والفلاحين، وتحقيق التحالف العمالي الفلاحي، وتشكيل جبهة وطنية موحدة، وتأمين التضامن بين الثورة الفيتنامية والحركة الثورية العالمية، وقد قرر المؤتمر من جهة أخرى إنشاء منظمات جماهيرية مثل النقابات الحمراء، الرابطة الفلاحية الحمراء واتحاد الشبيبة الشيوعية ورابطة تحرير المرأة، والإغاثة المتبادلة الحمراء، والعصبة المناهضة للإمبريالية (الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة للإمبريالية) في الفيتنام.

لقد شكلت ولادة الحزب الشيوعي الفيتنامي انعطافا كبيرا في تاريخ الثورة الفيتنامية، مدشنة عهدا جديدا، هو عهد الثورة التي تقودها الطبقة العاملة الفيتنامية وحزبها الماركسي – اللينيني.

لقد كانت الطبقة العاملة الفيتنامية قليلة العدد، لكنها ممركزة نسبيا، وتشكل طبقة متلاحمة ومتجانسة وبدون أرستوقراطية وبعيدة عن سيطرة النزعة الإصلاحية، وكان إلى جانبها طبقة الفلاحين، أقرب حليف لها والأكثر جدارة بالثقة، تحدوها روح كفاحية عالية.

إن العمال والفلاحين يشكلان القوى الثورية الرئيسية في الفيتنام، ذلك البلد ذو التقاليد النضالية العنيدة التي لا تقهر، وبذلك توفرت التربة الملائمة لترسخ وتجذر الماركسية – اللينينية في الفيتنام، وعلى هذا الأساس انبنى حزب ثوري من طراز جديد، هو الحزب الشيوعي الفيتنامي، الذي سيصبح القائد الأوحد للحركة الوطنية الفيتنامية.

في أكتوبر 1930، ستقرر الدورة العامة الأولى للجنة المركزية إطلاق الاسم الجديد للحزب، الذي سيصبح الحزب الشيوعي الهند – الصيني، كما أقرت الموضوعات السياسية، التي صاغها أول أمين عام للحزب الرفيق تران فو. و قد أكدت هذه الموضوعات على كون الثورة الفيتنامية قد أصبحت في عصر الامبريالية و الثورات البروليتارية، أي بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في الإتحاد السوفياتي، جزءا لا يتجزأ من الثورة البروليتارية العالمية، وعليها أن تجتاز مرحلتين، تقوم الأولى على إنجاز الثورة الديموقراطية البورجوازية تحت قيادة الطبقة العاملة للإطاحة بالإمبرياليين و الإقطاعيين، و الظفر مجددا بالاستقلال الوطني و إعادة الأرض لمن يحرثها، والمهمتان : المناهضة للإمبريالية و المناهضة للإقطاعية مترابطتان ترابطا وثيقا، و في هذا السياق يشكل العمال و الفلاحون القوى الرئيسية للثورة، و لهذا كان على الحزب الشيوعي الهند – الصيني تحقيق التحالف العمالي الفلاحي و حسم قضية السلطة عن طريق العنف الثوري عبر انتفاضة للاستيلاء على السلطة .

حسب الوثيقة ستنتقل الثورة إلى المرحلة الثانية، التي ستعمل على الانتقال مباشرة نحو الاشتراكية وتجنب مرحلة التطور الرأسمالي، وكان الشرط الأساسي للانتصار وضامنه هو وجود حزب شيوعي، يتبنى الماركسية – اللينينية كأساس إيديولوجي، ويصوغ خطا سياسيا سديدا لقيادة الثورة، حزب منظم على قاعدة المركزية الديموقراطية ويقوم على الانضباط الصارم، حزب ذو علاقات وثيقة مع الجماهير، ويترعرع في خضم النضال الثوري.

هكذا، وللمرة الأولى وجد الشعب الفيتنامي والطبقة العاملة الفيتنامية نفسيهما مجهزين ببرنامج ثوري ديموقراطي بورجوازي من طراز جديد، يعكس بالضبط القوانين الموضوعية للمجتمع الفيتنامي الكولونيالي وشبه الكولونيالي، الشيء الذي سمح للشيوعيين الفيتناميين أن يملكوا سلاحا قويا ضد المفاهيم التي تنفي التمايز الطبقي، ويستطيع عن طريقه تجنيب العمال والفلاحين التأثير المشؤوم للنزعة القومية الإصلاحية والتروتسكية والنزعة القومية البورجوازية الصغيرة الضيقة.

1 – الحزب الشيوعي الفيتنامي زمن المد الثوري لسنتي 1930 – 1931

وافقت نشأة الحزب الشيوعي الهند – الصيني اندلاع الأزمة الاقتصادية العالمية للرأسمالية، التي لم تتأخر آثارها على الفيتنام فتنشر الظلام والخراب في كل الهند الصينية، وقد كان العمال والفلاحون الضحايا المباشرين لهذه الأزمة، واللذين أصيبوا أقصى إصابة منها. وخلال حقبة 1929 – 1933، تضاعفت في الفيتنام الكوارث الطبيعية، فتعاقبت الفيضانات وحالات الجفاف والقحط، وأصيب الفلاحون بالخراب والبؤس، وتزايد عدد العاطلين عن العمل وتعرض البورجوازيون الوطنيون والبورجوازيون الصغار للإفلاس. لقد أصبحت حياة الشعب الفيتنامي مهددة.

لقد ساهمت الأزمة الاقتصادية والزيادة في الاستغلال الاستعماري وتشديد سياسة الإرهاب الرهيب، وذلك قبل انتفاضة ين باي (انفجرت هذه الانتفاضة في 11 فبراير 1930، وقد كان وراءها الحزب القومي الفيتنامي) وبعدها، في استفحال التناقضات بين الشعب الفيتنامي والإمبريالية الفرنسية. هكذا، تهيأت الشروط الموضوعية لينظم الحزب الشيوعي الفيتنامي ويقود حركة ثورية لم يسبق لها مثيل ضد الإرهاب، و من أجل إطلاق سراح المناضلين المعتقلين و تحسين شروط معيشة الشعب، وقد عرفت هذه الحركة بدايتها بعدما انطلق إضراب ثلاثة آلاف عامل في إحدى المزارع الكبرى في

الكوشينشين و ذلك في فبراير 1930، و تبع ذلك إضراب أربعة آلاف عامل في مزرعة نام دينه للقطن في باك بو (مارس 1930) ثم إضراب 400 عامل في معمل الثقاب و منشرة بن تويه في ترونغ بو (ابريل 1930)، و ابتداء من 1 ماي 1930 عرف المد الثوري تدفقا شاملا مس جميع أنحاء البلاد، و خاصة المؤسسات الصناعية في مجموعة من المدن :هانوي و هايفونغ و نام دينه و هونغيه وكام فا و فينه و بن تيه بنه و غيرها من المدن الكثيرة.

هكذا انفجرت آلاف الإضرابات العمالية والتظاهرات الفلاحية والاحتشادات الجماهيرية والإضرابات المدرسية وإضرابات الأسواق.

إن هذه الحركة من النضال الواعي للجماهير العمالية والفلاحية والبورجوازية الصغيرة، قد ربطت بشكل وثيق ما بين النضال المعادي للإمبريالية والنضال المعادي للإقطاع، كما قطعت العلاقة مع أي تأثير للنزعة القومية الإصلاحية البورجوازية.

وعرفت هذه الحركة ذروتها عندما أقامت الجماهير سوفياتات نفيه تينه، وتحت ضغط الجماهير الثوري العارم تفكك وانهار حكم الإمبرياليين والإقطاعيين، وستقوم اللجن التنفيذية للجمعيات الفلاحية المحلية، تقودها خلايا الحزب الشيوعي بالاضطلاع بإدارة الحياة السياسية والاجتماعية بجميع وجوهها، ممارسة بذلك سلطة شعبية سوفياتية الطراز.

هكذا، ولأول مرة استولى الشعب على السلطة المحلية، ورغم أنها لم تدم طويلا لأنها تعرضت للقمع على رجال الثورة المضادة، فإنها ألغت الضرائب التي فرضها الإمبرياليون والإقطاعيون وضمنت الحريات الديموقراطية للشعب، وأعادت توزيع مزارع الأرز والأراضي المشاعية على الفلاحين وأرغمت الملاكين العقاريين على تخفيض الريع العقاري الرئيسي

وإلغاء الريع العقاري الثانوي، كما شجعت السكان على تعلم الكوك نغو (الكتابة الوطنية ذات الأحرف القائمة) ومكافحة الخرافات والعادات البالية القديمة ...

لقد كانت تجربة عامة أولى للشعب الفيتنامي ساهمت في انتصار ثورة غشت المجيدة. وقد كان خط الحزب (الثوري الوطني والديموقراطي) بشعاريه "استقلال وطني" و "الأرض لمن يفلحها" قد أخذ يصبح مصدرا لإيمان وآمال الجماهير الشعبية، كما انصهر في بوتقة هذا المد الثوري، الحزب الشيوعي الذي تصلب ونضج، وفي أبريل 1931 سيتم الاعتراف به كفرع للأممية الشيوعية. لقد أثبت المد الثوري لسنتي 1930 – 1931 والسوفياتات التي توجته، أن الطبقة العاملة الفيتنامية وطليعتها الحزب الشيوعي الفيتنامي، هما وحدهما القادران على قيادة الثورة الوطنية الديموقراطية، كما أثبت التجربة كذلك، أن الطبقة العاملة والفلاحين تحت قيادة الحزب والمتحدين مع الفئات الأخرى من السكان، قدرتهم على الإطاحة بسيطرة الإمبرياليين والإقطاعيين وإقامة حكم الشعب الثوري، وقد كانت الطريقة المستخدمة لبلوغ هذا الهدف، هي استعمال العنف الجماهيري الثوري.

2 – الحزب الشيوعي في ظل القمع الرهيب

لقد أخاف نهوض حركات الجماهير وتزايد نفوذ الحزب الشيوعي، الاستعماريين الفرنسيين، فلجأوا إلى تدابير إرهابية فظيعة، وتعرض الحزب الشيوعي لحملات قمع شرسة، فتم تفكيك العديد من هيئات الحزب القيادية، وتم اعتقال عشرات الآلاف من كوادر الحزب وأعضائه ومن المناضلين الوطنيين، فقتلوا أو سجنوا. وبعد منتصف 1930، ضعف المد الثوري بصورة مؤقتة، لكن الحزب والجماهير ظلا محتفظين بثقتهما في آفاق الثورة الوطنية، لقد اكتسبت الثورة الفيتنامية مهابة كبيرة في الداخل والخارج بسبب روح النضال البطولي العنيد لأطر الحزب الشيوعي وأعضائه ودور الجماهير الثورية.

في سنة 1932، وضع الحزب الشيوعي الفيتنامي برنامجا للعمل محددا المهمات الملموسة المباشرة، وكذا أشكال وطرق النضال طبقا للظروف الجديدة.

رغم القمع، وبفضل وفاء وإخلاص المناضلين، اللذين نجوا من تدابير العدو القمعية والإرهابية، استطاع الحزب الشيوعي أن يحتفظ بعلاقات وثيقة مع الجماهير، كما كان يسهر على تعزيز منظماته السرية، وكذلك على تطوير وإتقان المزاوجة بين النشاط الشرعي والسري للحزب، فتطورت إمكانياته في استغلال الإمكانات الشرعية لأغراض الدعاية والتحريض في الصحافة والمجالس البلدية والمجلس الكولونيالي.

أما في سجون العدو، فقد كانت كوادر الحزب وأعضاؤه المعتقلون ينظمون، ويقودون بصورة دائمة نضالات من أجل تحسين المعيشة في السجن وضد المذابح والإرهاب، وكانوا يحولون سجون الاستعماريين إلى مدارس للثورة، ويستخلصون العبر من النضالات الماضية لإيصالها إلى منظمات الحزب القاعدية في الخارج، وقد لعبت الأحزاب الشيوعية السوفياتية والصينية والفرنسية دورا كبيرا في مساعدة الحزب الشيوعي الفيتنامي خلال سنوات القمع هاته.

منذ 1930، بدأت الحركة الثورية تتقوى تدريجيا، وعرفت سنة 1934 إقامة قيادة الحزب في الخارج مع تكليفها بمهمة توحيد القواعد، التي أعيد تشكيلها في البلاد، كما تم إعداد وتحسين الكوادر القيادية، والعمل على إعداد المؤتمر الأول للحزب، وسينعقد هذا المؤتمر في ماكاو (الصين) في مارس 1935. وستتيح نشاطات قيادة الحزب وأعمال المؤتمر إمكانية توحيد منظمات الحزب في البلاد تحت قيادة اللجنة المركزية.

في سياق هذه الفترة، بدأت الحركة الثورية تسترجع أنفاسها، وتتحول من جديد إلى تيار عارم.

لقد أثبتت دروس الحركة الشيوعية في الفيتنام خلال هذه الفترة أن الحزب الثوري يستطيع الاستمرار بالرغم من الإرهاب القمعي الوحشي الممارس عليه من قبل المستعمرين، مثله كمثل سفينة في بحر تتلاطم فيه الأمواج و تهب عليه العواصف، تقاوم و تصمد و تشق طريقها إلى شاطئ الأمان، إن مثل هذا الحزب هو وحده القادر في ظروف القمع الوحشي على إعادة تنظيم كوادره و تنظيماته و الحفاظ على علاقاته مع الجماهير و إصدار أدبياته، و كذلك قيادة نضالات العمال و الفلاحين، و بذلك استحق الحزب الشيوعي الفيتنامي أن يكون القوة التنظيمية و السياسية و الكفاحية الوحيدة للثورة الفيتنامية .

3 – الحزب الشيوعي الفيتنامي في ظل الحملة من أجل بناء الجبهة الديموقراطية الهند - الصينية (1936 – 1939)

تطور نضال الحزب الشيوعي الفيتنامي في هذه الفترة في ظل سياق دولي وأممي تميز بما يلي:

- تأثير الأزمة الاقتصادية العالمية في إبان سنوات 1929- 1933 على الأوضاع الاجتماعية في المراكز الرأسمالية، خاصة أوروبا الغربية، مما هيأ عوامل نهوض الحركة الثورية من جديد، مما جعل بعض البورجوازيات الغربية تلغي الحريات الديموقراطية وتختار طريق الدكتاتورية الفاشية، وقد تدعم المد الفاشي في كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان، فاستولى على الحكم في هذه البلدان وأصبح يهدد العالم بحرب شرسة بغية تقسيم جديد للعالم وإبادة الاتحاد السوفياتي قلعة الثورة العالمية.

- لمواجهة هذا التطور الجديد، انعقد المؤتمر السابع للأممية في يوليوز 1935 ، وصادق على قرارات جديدة تهم مهام الحركة الشيوعية العالمية، معتبرا أن المهمة المباشرة للشيوعيين و الطبقة العاملة لا تقوم مباشرة في الإطاحة بالرأسمالية

وإقامة الاشتراكية، بل في النضال ضد الفاشية ومن أجل الديموقراطية والسلم، ومن أجل هذا، أصبح لازما على الأحزاب الشيوعية أن تعمل على توحيد القوى العمالية، وتأسيس جبهة شعبية واسعة في كل بلد تضم الأحزاب و الجماعات الوطنية والديموقراطية من أجل تحقيق وحدة جبهة العمل ضد الفاشية، العدو الرئيسي والمباشر.

- في ماي 1936، عرفت فرنسا انتخابات عامة أدت إلى انتصار الجبهة الشعبية، التي كان الحزب الشيوعي يشكل هيكلها الأساسي، فتولت الحكم من 1936 إلى 1939، مما كان له أثر مباشر على الأوضاع السياسية في المستعمرات الفرنسية، ومن بينها الفيتنام والهند الصينية. وفي الفيتنام حيث آثار الأزمة الاقتصادية وسياسة القمع التي كان يمارسها الاستعماريون الفرنسيون قد دفعت جميع فئات السكان، بمن فيها البورجوازية الوطنية والشخصيات الديموقراطية إلى تبني مطلب تحقيق تغييرات ذات طابع ديموقراطي. وتجسيدا لقرار المؤتمر السابع للأممية الشيوعية، حددت الدورة العامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي المنعقد في صيف 1936 مهمة الثورة الهند الصينية في هذه الفترة، وكانت هذه المهمة تتمثل في أخذ موقع ضمن الجبهة العالمية للديموقراطية والسلم، وللنضال ضد الفاشية والحرب العدوانية الفاشية.

ضمن هذا التصور، قرر الحزب الشيوعي الفيتنامي ان يسحب مؤقتا شعاري "فلتسقط الامبريالية الفرنسية" و "مصادرة مزارع الأرز و أراضي الملاكين العقاريين لتوزيعها على المزارعين"، كما دعا الحزب إل تكوين جبهة وطنية هند- صينية معادية للإمبريالية تجمع كل القوى الديموقراطية و التقدمية ضد العدو الرئيسي المباشر، و ضد الفاشيين و الرجعيين الاستعماريين الفرنسيين، من أجل النضال ضد العدوان الفاشي، و في سبيل الحريات الديموقراطية، و لتحسين شروط معيشة الشعب و صيانة السلم العالمي، كما حددت اللجنة المركزية الأشكال التنظيمية و طرق النضال، وأكدت على ضرورة استغلال جميع إمكانات الشرعية (العلنية) وشبه الشرعية من أجل تحريك الجماهير و تنظيمها، و دعت اللجنة

المركزية كذلك إلى تعزيز و تطوير منظمات الحزب السرية، و الخلاصة، هي الجمع بين النشاطات الشرعية و شبه الشرعية و النشاطات غير الشرعية، بهدف تطوير المنظمات الحزبية و منظمات الجبهة الديموقراطية و تنشيط حركة نضال الجماهير تنشيطا قويا.

ولتحقيق هذه المهمات، كان على الحزب أن يناضل بلا هوادة ضد النزعات الانقسامية، وأن يقوم بتعميق الدراسة المنهجية للماركسية – اللينينية لرفع المستوى الثقافي والسياسي لأعضائه.

ا- النتائج الملموسة لعمل الحزب:

في هذه الفترة كانت حركة الجماهير تعرف نهوضا كبيرا، دشنتها حملة تنظيم الحملة من أجل مؤتمر الهند الصينية، و بدأ الإشراف عل بناء لجان للعمل في كل مكان، واجتماعات للحديث واحتشادات جماهيرية، كل هذا بغية جمع رغبات الشعب ومطالبة الحكومة الفرنسية التي تقودها الجبهة الشعبية بتحقيق الإصلاحات الديموقراطية و تحسين شروط معيشة السكان، و نتيجة ضغط الحركة الجماهيرية في فرنسا و الهند -الصينية أطلق سراح العديد من المعتقلين السياسيين، كما أصبحت كثير من جرائد الحزب والجبهة الديموقراطية الهند -الصينية واتحاد الشبيبة الديموقراطية تصدر بصورة شرعية، و عمل الحزب بجهد لتحقيق وحدة العمل مع الجماعات السياسية البورجوازية الصغيرة والعناصر المثقفة البورجوازية ذات النزعة الديموقراطية.

عرفت فترة منتصف 1936 – منتصف 1939 تطورا هائلا لنضال الجماهير في الهند الصينية، سواء على مستوى الاتساع أو العمق. لقد اندلعت التظاهرات والإضرابات في المدن الكبرى والمناطق الصناعية، خاصة في سايغون وهانوي وهاي

فونغ وفينه وبين توي وهو نغاي وكامنة. لقد كان العمال يناضلون من أجل تحسين شروط معيشتهم، وفي سبيل العمل بثماني ساعات، وحرية تنظيم النقابات والجمعيات، وكان العمال اليدويون والذهنيون يؤسسون جمعيات وروابط المؤازرة المتبادلة، كما كان الفلاحون يتظاهرون بالملايين مطالبين بتخفيض الضرائب والرسوم ويحتجون ضد التحصيلات التعسفية والتوزيعات الجائرة للأعباء.

لقد شكلت الحملة لصالح الجبهة الديموقراطية الهند- الصينية 1936 – 1939 مدا ثوريا وطنيا وديموقراطيا واسع النطاق، رغم أن الحزب كان حذرا جدا، ولم يطلق شعارات تعرض بوضوح موقفه حول الاستقلال الوطني. وإبان قيادته للحركة الثورية، تحسن المستوى السياسي للكوادر وأعضاء الحزب ونوعية عملهم، كما زاد تأثير الحزب ونفوذه داخل أوساط الشعب، والأهم هو أن الحزب عرف كيف يستفيد من الوضع السياسي للعمل بصورة شرعية وشبه شرعية ونشر الإيديولوجية الماركسية – اللينينية والتعريف بنهج الحزب والأممية الشيوعية وسياستهما، وقد ساهمت المطبوعات الشرعية وغير الشرعية للحزب والجبهة الديموقراطية إسهاما كبيرا في تعبئة الجماهير الفيتنامية وتربيتها وتنظيمها وقيادتها. لقد حقق الحزب انتصارات كبيرة في النضال من أجل الحريات الديموقراطية وتحسين شروط معيشة الشعب، فكان الحزب يعبئ ويربي ويبني جيشا سياسيا جماهيريا مؤلفا من ملايين الناس في المدن والأرياف، واستفاد من ذلك في تكوين عدد كبير من كوادر الثورة. وقد مثل هذا النهوض الثوري للجبهة الديموقراطية للهند- الصينية مقدمة وتجربة عامة ثانية لثورة غشت.

وفي سياق هذه التجربة الغنية، لم ينج الحزب من ظهور نزعات وانحرافات يسارية ويمينية مثل، بالنسبة لليسارية النزعة التكتلية وضيق العقلية والاستغلال غير الكامل للإمكانات الشرعية وغير الشرعية، وبالنسبة للانحرافات اليمينية، نزعة

الاستناد إلى العمل الشرعي فقط والانتشاء بالنجاحات الجزئية، مع إهمال تعزيز منظمات الحزب السرية أوكدا الاهتمام المفرط لكسب البورجوازية والملاكين العقاريين، وإهمال تعزيز وتطوير القوى الثورية العمالية والفلاحية، واستصغار تحالف العمال والفلاحين.

III – الحزب الشيوعي الفيتنامي والنضال من أجل حماية الاستقلال الوطني وصيانة السلطة الشعبية 1945 – 1954

عندما أعلن الحزب الشيوعي الفيتنامي عن تأسيس أول جمهورية ديموقراطية شعبية في آسيا سنة 1945، واجهت الدولة الفتية صعوبات جمة، من بينها استمرار المجاعة الرهيبة التي مست باك بو، وهي من نتائج سياسة النهب من قبل الامبرياليين الفرنسيين واليابانيين، تلاها فيضان كبير، أعقبه جفاف، وكانت جميع فروع الإنتاج في حالة ركود، وأصبحت السلع نادرة ومستودعات الدولة تركها اليابانيون فارغة. وفي الوقت ذاته دخل مائة ألف جندي من جنود شانغ كاي تشيك إلى شمال البلاد تحت غطاء نزع سلاح القوات اليابانية بدعم من الحلفاء الامبرياليين، والحقيقة أنهم جاؤوا البلاد بهدف تدمير الحزب وتصفية الفييت مينه بهدف الإطاحة بالحكم الشعبي، وإقامة حكومة عميلة للأمريكيين.

أما في الجنوب، فقد دخلت قوات بريطانية مستعملة نفس الذريعة، وجاءت بهدف تشجيع عودة المستعمرين الفرنسيين، وبالفعل ساعدت القوات البريطانية الفرنسيين في إعادة احتلال نام بو و جنوبي ترونغ بو، و الإعداد لإعادة احتلال الهند الصينية بأسرها، وبشكل مواز للأنشطة الامبريالية السياسية والعسكرية، قام العملاء بشكل منتظم ومدروس بأعمال استفزازية وتخريبية ولصوصية وقطع الطرق، إلا أن الشعب الفيتنامي استطاع التغلب عل هذه الصعوبات، و تمكن من صيانة سلطته الثورية.

في سياق هذه الأوضاع، اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي في 25 نونبر 1945، وأصدرت بيانا توجيهيا تحت عنوان **"المقاومة والبناء الوطنيان"** المهمة الملحة العاجلة الموضوعة أمام الحزب والشعب بأسره، ودعا البيان التوجيهي إلى توطيد الحكم والنضال ضد المستعمرين الفرنسيين المعتدين وقمع رجال الثورة المضادة في الداخل وتحسبن شروط معيشة الشعب.

كانت المهمة الأساسية، من بين المهام الأخرى، هي النضال لصيانة السلطة الثورية والاحتفاظ بها، وهو نضال حيوي يخوضه الشعب بأسره ضد الامبريالية وخدامها، وكان المهم بالدرجة الأولى، أن يجعل من الحكم الثوري حكما يقوده حقا الشعب بأسره، حكما منتخبا ومدعوما من قبل الشعب، الذي يجب أن يكون متأهبا للنضال والتضحية لصيانة الحكم الثوري. وفي 6 دجنبر 1946، جرت الانتخابات العامة بنجاح في جميع أنحاء البلاد، في حين كان المستعمرون الفرنسيون يقومون بعدوانهم المسلح ضد الجنوب، بينما في الشمال كانت قوات تشانغ كاي تشيك تعمل بكل الوسائل لتخريب الانتخابات والإطاحة بالسلطة الشعبية. هكذا، كانت الانتخابات الأولى في الفيتنام تأخذ طابع صراع طبقي ونضال تحرر وطني قاس وبالغ الضراوة، وجنبا إلى جنب مع كل هذه الأعمال، أنشئت بتاريخ 20 شتنبر 1945 لجنة صياغة مشروع الدستور تحت قيادة الرئيس هو شي منه، وفي 9 دجنبر 1946 صوتت الجمعية الوطنية على الدستور الأول لجمهورية الفيتنام الديموقراطية، كما تشكل في ماي 1946 الاتحاد الوطني للفيتنام، الذي يسمى اختصارا ليان فييت، ويشمل هذا الإطار الأحزاب والأشخاص، الذين لم يكونوا قد انتسبوا بعد للفييت مينه. وعموما، كانت كتلة الاتحاد الوطني مؤسسة عل التحالف العمالي- الفلاحي، أساس الحكم الشعبي.

اتخذ الحكم الشعبي منذ شهوره الأولى مجموعة من التدابير تهدف إلى تحسين شروط حياة الشعب، ومنها:

- تخفيض معدل المآكرة (أجرة الأرض الزراعية) بمقدار 25% لصالح الفلاحين

- مصادرة أراضي المستعمرين والخونة وإعادة توزيعها على الفلاحين

- التوزيع العادل للأراضي المشاعية والأميرية على جميع المواطنين من الذكور والإناث

- إقرار يوم عمل 8 ساعات وحماية مصالح العمال في علاقتهم مع أرباب العمل

- إنجاز وتطبيق، بعزم وحمية، تدابير مستعجلة ضد الأمية والمجاعة والعدوان

1 – احتلال الفيتنام من جديد وتكتيك النضال الثوري

بعد تأسيس الجمهورية الديموقراطية الشعبية، و عاصمتها هانوي، و بعد عودة القوات الامبريالية إلى جنوب الفيتنام، بدأ الحزب الشيوعي الفيتنامي يهتم بشكل خاص ببناء القوات المسلحة، و تعبئة الشعب الفيتنامي لدعم إخوانه في الجنوب، اللذين كانوا يخوضون قتالا بطوليا ضد المستعمرين المعتدين، هكذا تشكلت في كل مكان لجان لدعم المقاومة، و بدأت تشكيلات من المقاتلين تتوجه من جميع أنحاء البلاد نحو الجنوب للمشاركة في القتال، و بدأ الوضع العسكري يتحسن تدريجيا لصالح القوات المسلحة و سكان الجنوب، اللذين بدأوا يحرزون الكثير من الانتصارات ،مما ساهم في شحذ روح النضال لدى الشعب الفيتنامي بأسره .

عندما كانت القوات الفرنسية تقوم بعدوانها ضد الجنوب، كانت قوات تشانغ كاي تشيك وعملائها تعمل بكل قواها من أجل الإطاحة بالحكم الشعبي. وأمام هذا الوضع المعقد اضطر الحزب الشيوعي الفيتنامي إلى دراسة التكتيك المناسب

لمواجهة العدو، وكانت وثيقة "**المقاومة والبناء الوطنيان**" الصادرة بتاريخ 25 نونبر 1945، الصادرة عن اللجنة المركزية للحزب قد جاء فيها:

"**أن عدونا الرئيسي في هذه اللحظة هو الاستعمار الفرنسي المعتدي، الذي ينبغي تركيز نيران النضال ضده**". ومن باب تحليل التناقضات الناشئة عن احتلال الجنوب من طرف القوات الفرنسية، والشمال من طرف قوات تشانغ كاي تشيك، تبين للحزب:

"أن قوات تشانغ كاي تشيك كانت تشكل، هي أيضا، خطرا كبيرا، لكنها لم تكن تجرؤ على الاعتداء جهارا على بلادنا شأن المستعمرين الفرنسيين. ومن جهة أخرى، فقد كان على القوات الأولى أن تواجه الخطر الذي يشكله عليها النضال الثوري، الذي كان يخوضه الشعب الصيني تحت قيادة حزبه الشيوعي، هذا النضال الذي كان يزداد شدة بلا انقطاع. لذلك، دعا حزبنا في ذلك الحين لتقديم تنازلات لتشانغ كاي تشيك، وذلك مع صيانة سيادتنا واستقلالنا. واتجاه الاندفاع الثوري العاصف للجماهير الشعبية، والموقف الحازم لحزبنا وحكومتنا، كانت استفزازات تشانغ كاي تشيك تلاقي الفشل والإفلاس، كما كانت أعمال الخيانة للعملاء الفيتناميين، خونة الوطن، تقابل بالعقاب الذي تستحقه.

بعد ستة أشهر من احتلال فيتنام الشمالية، لم تستطع قوات تشانغ كاي تشيك أن تدمر حزبنا، ولا أن تصفي رابطة الفييت – مينه، ولا أن تطيح بالسلطة الثورية".

وتغير الوضع في الشمال مرة أخرى، الشيء الذي أدركه الحزب الشيوعي الفيتنامي جيدا، ومما جاء في كتاب " **موجز تاريخ حزب العمل الفيتنامي 1930 – 1975" ص 47:**

" أنه في فبراير 1945، وتلبية لأمر من الإمبرياليين الأمريكيين، وقعت طغمة تشانغ كاي تشيك مع المستعمرين الفرنسيين ميثاقا يخول للقوات الفرنسية الحلول محل القوات الصينية في شمال الفيتنام. وهكذا كشف الامبرياليون عن نيتهم الغادرة في إعداد تجديد احتلال بلادنا بأسرها من قبل المستعمرين الفرنسيين، ورأى حزبنا أن الحلف الفرنسي- الصيني لم يكن شأنا يهم فرنسا و تشانغ كاي تشيك فقط، بل اعتبره عملا ارتكبه مجمل المعسكر الامبريالي ضد شعبنا".

وحول التكتيك الذي يجب اتخاذه لتنظيم المقاومة والاستعداد للمواجهة مع العدو الرئيسي، كان أمام الحزب الشيوعي الفيتنامي أمران:

"فإما امتشاق السلاح لمجابهة غزو الشمال من قبل القوات الفرنسية، لكننا سنكون حينئذ مضطرين لمقاتلة عدة أعداء في وقت واحد، و إما التفاوض مع فرنسا، و استثمار التناقضات في صفوف الدول الامبريالية لإخراج قوات تشانغ كاي تشيك، و الاستفادة من فترة الهدوء، التي توفرها تلك المباحثات (مع الفرنسيين) لتعزيز القوات الثورية و تطويرها، و إعداد المقاومة الوطنية".

بالفعل، فقد اختار الحزب الشيوعي الفيتنامي طريق المفاوضات مع الفرنسيين، و في 6 مارس 1946 وقع مع فرنسا اتفاقات أولية، مرسيا أسسا لمفاوضات رسمية. لكن، فلم يكد، يجري توقيع هذه الاتفاقيات حتى أدار لها الفرنسيون

ظهرهم، مغيرين موقفهم فجأة، لكن بفضل الصمود والصرامة، استطاع الحزب أن يفرض على فرنسا الدخول في المفاوضات التي افتتحت في 6 يوليوز 1946، تلك المفاوضات التي قادها من جانب الحكومة الفيتنامية، الرفيق فام فان دونغ، وممثل الحكومة الفرنسية، وذلك في فونتينبلو (فرنسا). لكن المفاوضات فشلت لأن الاستعماريين الفرنسيين كانوا يريدون فقط ترسيخ سيطرتهم على الفيتنام. وفي سبيل كسب الوقت، وقع الرئيس هو شي منه مع الحكومة الفرنسية اتفاقا لتوقيف القتال مؤقتا، وذلك في 14 يوليوز 1946 قبل عودته إلى البلاد.

لقد كان من نتائج الاتفاقية الأولية، جوانب إيجابية أتاحت للثورة استبعاد عدو وحشي كان يخدم أغراض الامبريالية الأمريكية، كما أتاح لها توجيه كل نار الكفاح ضد الفرنسيين، العدو المباشر والأكثر خطرا، إضافة إلى أن الحزب الشيوعي الفيتنامي قد كسب وقتا ثمينا لإعداد قواه، من أجل خوض مقاومة طويلة الأمد. وعندما أطلق المستعمرون الفرنسيون حربهم من جديد، اتسعت المقاومة لتشمل البلاد بأسرها، مقاومة عل جميع الأصعدة وطويلة الأمد ضد المستعمرين الفرنسيين المعتدين.

في 19 دجنبر 1946، اتسعت رقعة الحرب إلى جميع أنحاء الفيتنام، وانتهت كل التسويات المؤقتة، فنهض الشعب الفيتنامي بقيادة الحزب والرئيس هو شي منه لمقاومة المحتلين، وصيانة الاستقلال والوحدة الوطنيتين، وحماية مكاسب ثورة غشت 1945. وفي يوم 20 دجنبر 1946، أعلن الرئيس هو شي مينه، ما يلي:

"لقد قدمنا تنازلات، رغبة منا في الحفاظ على السلم. لكننا كنا، كلما زدنا في ذلك، زاد اعتداء الفرنسيين علينا وعلى حقوقنا، لأنهم عازمون على استعادة غزو البلاد وإعادة احتلالها كليا".

وأضاف هو شي مينه:

"كلا! إن الأفضل، والأشرف لنا أن نضحي بكل شيء من أن نفقد الاستقلال، ونسقط مجددا فرائس للاستعباد والرق".

من جهة أخرى، وفي يوم 22 دجنبر 1946، أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي بيانا تحت عنوان: "**كل الشعب ضد العدوان**"، وقد حدد هذا البيان هدف المقاومة وطابعها، وكذلك برنامج العمل المشترك للحزب والجيش والشعب بأسره، معتبرا أن المقاومة تشمل جميع الأصعدة، وبالاعتماد على قوى الشعب الذاتية ستكون مقاومة طويلة الأمد.

بدوره، أصدر الرفيق تريونغ شينه وثيقة تحت عنوان " **المقاومة ستنتصر**"، و هي وثيقة هامة، تعرضت لخط و توجيهات الحزب حول حرب المقاومة، و يقول الرفيق تريونغ شينه أنه، في مواجهة عدو، هو الامبريالية، يملك جيشا قويا و حسن التجهيز، على شعبنا أن يخوض حرب مقاومة طويلة الأمد، مدمرا بمقدار أكبر كل يوم قوى العدو الحية، مع صيانة قوانا الذاتية و تطويرها، و على شعبنا أن يجعل كفة الميزان تميل إلى جانبه، فعليه أن ينتقل من حالة النقص إلى حالة توازن القوى، و أن يضمن لنفسه التفوق و الانتصار النهائي، و قال الرفيق تريونغ شينه: و لكي يتمكن شعب من خوض مقاومة طويلة الأمد، فإنه من المهم أن يعتمد على قواه الذاتية، ذلك هو الاتجاه الاستراتيجي العام، و لأجل ضمان النصر، من المهم تحقيق الاتحاد الوطني، و تعبئة القوى البشرية و المادية و المعنوية للشعب في خدمة المقاومة، و الواقع أن المقاومة للعدوان ينبغي أن تخاض على جميع الأصعدة، السياسية و العسكرية و الاقتصادية و الثقافية، و حسب الرفيق ، فهذه المقاومة الطويلة الأمد ستمر بثلاثة مراحل : **مرحلة الدفاع، مرحلة توازن القوى و مرحلة الهجوم العام.**

إن الدعامة الأساسية التي يستند عليها الشعب لخوض المقاومة تحت قيادة الحزب الشيوعي تتشكل من القوى المسلحة الموزعة إلى ثلاث فئات : **الوحدات النظامية، التشكيلات المناطقية، و مليشيات حرب العصابات.**

لقد وضعت الحرب في بداية المقاومة الطرفين في وضع غير متساو، حيث كان العدو الفرنسي يملك سفنا بحرية و قوات برية، و طيرانا، في حين لم يكن لدى القوات الفيتنامية سوى جيش مشاة حديث النشأة و قليل الخبرة و التجربة، و يفتقر إلى كل شيء، لكن العدو لم يكن باستطاعته الاعتماد على أسلحته العصرية لإبادة قوات الجيش الشعبي الفيتنامي، فكان ملزما أن يدفع غاليا احتلال عدد صغير من المدن، و كان الفيتناميون يطورون حرب العصابات و يشكلون الفئات الثلاث من القوات المسلحة الثورية. و استطاع الشعب الفيتنامي، عبر بطولات كبيرة، و تضحيات جسيمة، أن يتكيف مع الوضع، و يخوض، في نفس الوقت، ميداني الإنتاج و القتال، و أمام هذا الوضع، حيث يصطدم العدو بصعوبات العقبات المتزايدة، فإنه كان يسعى إلى إنهاء الحرب بسرعة. و في هذا السياق، و مع نهاية 1947، حشد الامبرياليون الفرنسيون أكثر من عشرة آلاف رجل، و أطلقوا ضد الفييت باك هجوما واسع النطاق، يهدف إلى تدمير قاعدة المقاومة في البلاد بأسرها، و إبادة جميع القوات النظامية و الهيئات القيادية.

لقد فطنت اللجنة العسكرية إلى خطة العدو هاته، و أعطت جميع التوجيهات الضرورية للتنظيمات على مختلف المستويات و المراتب، و أصدرت اللجنة المركزية بيانا توجيهيا جديدا تحت عنوان : **"ماذا قال بولايرت؟ و ماذا سنفعل؟"**.

يشير البيان إلى أن على جميع القوى الوطنية أن تعبأ لمجابهة و إحباط خطة الغزاة، الهادفة لاستخدام الفيتناميين ضد الفيتناميين. و في 15 نونبر 1947، صدر أمر بعنوان : **"علينا تحطيم الهجوم الشتوي للمعتدين الفرنسيين"**. و يقول

الأمر : إن مقاتلينا و وطني بلادنا، بتنفيذهم لهذا الأمر في جميع ميادين العمليات، قد حققوا تنسيقا وثيقا لعملهم مع عمل قوات الفييت باك المسلحة، و قاتلوا ببسالة و إقدام و أحرزوا انتصارات مجيدة، فبعد شهرين من المجابهة الضارية، استطعنا إحباط الهجوم الصاعق للفرنسيين، و صنا قواتنا، و كذلك القاعدة الوطنية للمقاومة، و أبدنا قوات معادية حية مهمة و كبيرة، و غنمنا عددا كبيرا من الأسلحة و التجهيزات .

بعد هزيمة الفرنسيين في فييت باك، في شتاء 1947، تغير طابع الحرب عندما أدرك العدو أنه لا يستطيع أن يبيد بصورة مباشرة قواتنا النظامية، في عملية كبيرة، ولا أن يضع حدا سريعا للحرب، بقواه الذاتية. هكذا، و في سنة 1948، غير استراتيجيته، و بدلا من أن يسعى إلى توسيع المنطقة المحتلة، أخذ يسعى لتعزيز مؤخراته، فانتقل من هجوم باك بو إلى تعزيز نام بو، مستعيضا عن العمليات الكبرى بعمليات صغيرة لا تهدف إلى إبادة مباشرة لقواتنا النظامية، بل إلى تخريب اقتصادنا و دعائمنا بين الجماهير، و في الوقت ذاته كان يجهد لتعزيز الحكم و الجيش الكركوزي في الجنوب و التماس المساعدة الأمريكية.

بالنسبة لنا، فإن انتصارنا في الفييت باك زاد من ثقة مقاتلينا و شعبنا في النصر النهائي، **و قد رأت الدورة العامة للحزب المنعقدة في يناير 1948 أن معركة الفييت باك قد حققت تغييرا كبيرا في مقاومتنا الطويلة الأمد، و انتقلت بنا إلى المرحلة الثانية، مرحلة توازن القوى.**

إن هذه الدورة العامة الموسعة، و مؤتمر الكوادر، و هو المؤتمر الرابع الذي انعقد في يناير 1949، قد اتخذ القرارات التالية :

1- **على الصعيد العسكري** : تحطيم هجمات العدو ضد قواعدنا، و تطوير حرب العصابات مع فرق وسرايا مستقلة، و فصائل للدعاية المسلحة، و فرق من الرواد (مهمة هذه الفرق إنشاء نقط ارتكاز لصالح المقاومة بين الجماهير في مؤخرات العدو).

و تبعا للمبدأ الذي حدده سابقا الرفيق تريونغ شينه بالنسبة للمراحل الثلاثة، فإنه بالنسبة لمرحلة توازن القوى، تشكل حرب العصابات الشكل الأساسي للقتال، و تقوم الحرب المتحركة بدور ثانوي، و لكن من المهم تنشيط هذه الحرب و التقدم نحو بناء قوات مسلحة شعبية، تضم القوات النظامية و القوات المناطقية و مليشيات حرب العصابات.

2 – **على الصعيد السياسي :** بذل الجهود لتعزيز كتلة الاتحاد الوطني، و لتوسيع الجبهة الوطنية المتحدة، و تدعيم السلطة الشعبية و تعزيزها، و تدمير النظام العميل في الجنوب مع العمل على التوضيح و الإقناع بين الجنود المعادين، و السعي كذلك لكسب دعم البلدان الاشتراكية و القوى المحبة للسلم و القوى التقدمية في العالم.

3 – **على الصعيد الاقتصادي و المالي :** تحسين شروط معيشة الشعب المادية و الثقافية لأجل القيام بمقاومة طويلة الأمد، و تطوير **اقتصاد الديموقراطية الجديدة،** و مضاعفة المؤسسات الإنتاجية التابعة للدولة، و إعداد الشروط لتخطيط قطاع اقتصاد الدولة، و إقامة التجارة الخارجية ... تنفيذ سياسة الحزب الزراعية بزيادة القوى الحيوية للفلاحين، و تطوير الإنتاج الزراعي، و محاصرة المنطقة التي يشرف عليها العدو و تخريب اقتصادها.

4 – على الصعيد الثقافي و الاجتماعي : تربية الأوساط الثقافية و تعبئتها لإشراكها بصورة فعالة في المقاومة، و الاستمرار في مكافحة الأمية و تحسين منظومة التربية، و بناء ثقافة جديدة، وطنية الطابع، علمية و شعبية، و حفز الحركة لحياة جديدة و إلغاء العادات الرجعية، و السهر على صحة الشعب.

2) في الطريق إلى معركة ديان بيان فو التاريخية و مؤتمر جنيف حول الهند الصينية

عند محطة 1953، و بعد تكبد القوات الاستعمارية الفرنسية هزائم فادحة، أصبح مجمل الحملة العسكرية الفرنسية يمتصها الاحتلال، أو ما يسمى بعملية التهدئة، في وقت أصبح فيه الاقتصاد الفرنسي و ماليته في حالة سيئة، كما أن التناقضات بين الاستعماريين الفرنسيين استفحلت بشكل غير مسبوق.

بعد الهزيمة التي مني بها الأمريكيون في كوريا، سيوجهون مركز اهتمامهم نحو شؤون الهند الصينية، و تجلى هذا في تزايد المساعدة الأمريكية للاستعماريين الفرنسيين و خدامهم، كما تجلى ذلك في إرغام الفرنسيين على إبراز سلطة النظام الكراكوزي في الجنوب، و كذلك الاعتراف بالتدخل الأمريكي و سيطرته على جيشهم و حكمهم و على قيادة حرب الهند الصينية. في ظل هذه الأجواء، بدأ الاستعداد لتصفية المقاومة في الجنوب، هكذا، و في منتصف 1953، و بموافقة الولايات المتحدة الأمريكية عين نافار قائدا أعلى للحملة التأديبية العسكرية الفرنسية في الهند الصينية، فأنشأ الفرنسيون ما سمي ب "خطة نافار"، و هي في العمق خطة أمريكية من حيث التصميم، كان الإمبرياليون الفرنسيون ينوون تنفيذها، و كان الاعتقاد السائد لدى كل من الفرنسيين و الأمريكيين، هو أنه بعد 18 شهرا سيسيطرون على المبادرة الاستراتيجية و يقلبون الوضع على مسرح العمليات في الهند الصينية.

بطبيعة الحال، لم تكن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي لتنام ملئ جفونها، بل كانت تراقب تطور الأوضاع عن كثب، **فكيف كانت ترى تلك الأوضاع؟**

في بداية سنة 1953، قدمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي تحليلا علميا للوضع العسكري في مجمل بلاد الهند الصينية، و على ضوء هذا التحليل حددت اللجنة المركزية الاستراتيجية الواجب اعتمادها لحملة الشتاء- الربيع 1953 – 1954:

- مركزة القوات الثورية و إطلاق هجمات في الاتجاهات الاستراتيجية المهمة، حيث كان يوجد العدو في وضع ضعيف نسبيا، و من ثمة إرغامه على بعثرة قواته، مما يهيئ أوضاعا جديدة ملائمة لإبادة قواه الحية، و سيسمح بتوسيع المناطق المحررة.

- العمل في الوقت ذاته على تنشيط حرب العصابات في مؤخرات العدو، مع الدفاع عن المناطق المحررة، و إيجاد الشروط للقوات النظامية الفيتنامية للتمركز و الاحتشاد و إبادة العدو في الاتجاهات المنتقاة.

نتيجة الخطة الفيتنامية أصبح الوضع العسكري يتميز بما يلي :

- تزايد النشاطات المتواصلة للجيش الفيتنامي في مختلف الاتجاهات يحقق إخفاقا لخطة نافار الهادفة إلى مركزة و حشد القوات الفرنسية في دلتا باك بو.

- أصبح نصف القوات العسكرية الفرنسية السيارة محصورا في المناطق الجبلية، الشيء الذي ساعد على تطوير حرب العصابات في المناطق المحتلة.

- في مجموعة من المقاطعات، مثل كوانغ بينه و كوانغ تري و تواتيان، أصبحت القوات المناطقية و أعضاء المليشيات التابعة لقوات حرب العصابات، تحطم عمليات التمشيط التي كان يقوم بها العدو الاستعماري، فتدمر طرق مواصلاته المهمة مما ساعد على توسيع قواعد حرب العصابات، و التصدي لجميع هجمات العدو ضد المناطق المحررة من الفيتنام، و كان الجيش الثوري الفيتنامي، كما هو الحال في نان بو يقوم بتنشيط أعمال الشرح و الإيضاح و الإقناع بين العسكريين و الموظفين المدنيين للنظام الكراكوزي، و بشكل مواز، تمت إبادة أو الإجبار على الانسحاب للآلاف من المراكز العسكرية المعادية و أبراج الحراسة.

- في نونبر 1953، و عندما رأى نافار أن شطرا من القوات النظامية الفيتنامية يتجه نحو الشمال الغربي، أسرع إلى إنزال أكثر من 5000 رجل بالمظلات على قلعة ديان بيان فو بهدف احتلالها، و ذلك بغية ضمان قاعدة للتمركز في المنطقة و الدفاع عن اللاووس العليا، هكذا قام نافار بتعزيز الحامية بهدف أن يجعل من ديان بيان فو المعسكر الفرنسي الأقوى تحصينا في الهند الصينية.

أمام هذا المستجد العسكري، و في دجنبر 1953، قررت اللجنة المركزية شن معركة ذات أهمية استراتيجية ضد ديان بيان فو، و أعطيت قيادة المعركة إلى الرفيق الجنرال فو نغوين جياب القائد الأعلى لجيش الفيتنام الشعبي، و بسرعة تحولت النية الاستراتيجية للجنة المركزية إلى إرادة في القتال و العمل المصمم لدى الحزب بأسره و الجيش كله و الشعب جميعه. هكذا، أشرف جياب على بناء وحدات مدفعية و مشاة بقوة السواعد و بوسائل بدائية بسيطة عبر الجبال و الغابات، مئات الكيلومترات الموصلة إلى مواقع القتال، و قامت بحفر مئات الكيلومترات من الخنادق للتسلل تحت نيران العدو الغزيرة، كما تم جر قطع المدفعية على طلعات وعرة، حيث يتم نقلها إلى مواقع الرماية.

تحت شعار "**كل شيء للجبهة، كل للنصر**" جرت تعبئة ما يزيد عن 200 ألف عامل شعبي سيقدمون بالإجمال أكثر من 3 مليون عمل، و ذلك لخدمة جبهة ديان بيان فو. و بعشرات الآلاف كان شبان طوابير الصدام يعملون بصورة مشتركة مع وحدات الهندسة، يشقون طرقا جديدة و يفجرون قنابل العدو الموقوتة لتأمين التجول في مختلف طرق المواصلات و النقل، كما كانت تستخدم عشرات الآلاف من الزوارق و المراكب و دراجات النقل و عربات الجواميس و الثيران و الخيل لكي تنقل إلى الجبهة مئات الآلاف من الأطنان من الأرز و المنتجات الغذائية و الذخائر.

إن الشعارين الأساسيين للمرحلة كانا هما : "**الاستقلال الوطني**" و "**الأرض لمن يزرعها**"، هكذا، و في إطار الجبهة المعادية للإقطاعية، كان الإصلاح الزراعي يتقدم بنشاط كبير، و كان من نتائج ذلك أن الفلاحين المحررين من عمليات السيطرة الإيديولوجية التي كانت مفروضة عليهم من طرف الإقطاعية، سينهضون، تحدوهم روح هجومية و ثورية للإطاحة بطبقة ملاك الأراضي، وبذلك تحققت قفزة كبرى لقوى المقاومة.

لقد أصبح من الممكن تحقيق، في نفس الوقت، شعاري "**الاستقلال الوطني**" و "**الأرض لمن يزرعها**"، كما أصبح التنسيق واسع النطاق بين النضال المسلح و النضال السياسي، الشيء الذي ساهم بشكل كبير في تحقيق الانتصار في معركة ديان بيان فو التاريخية.

فكيف كانت حصيلة معركة ديان بيان فو؟

بعد 55 يوما، بلياليها، من المعارك البطولية، التي لم تتوقف و لم تهدأ نيرانها، استطاعت القوات الفيتنامية الثورية في 7 ماي 1954، أن تبيد إبادة تامة المعسكر المحصن للقوات الفرنسية في ديان بيان فو، كما قتلت و أسرت أكثر من 16 ألف

رجل، و استسلم جميع ضباط و رتباء مقر القيادة العامة للمعسكر تحت قيادة الجنرال دي كاستري، رافعين الأعلام البيضاء.

في حملة شتاء – ربيع 1953 -1954، التي توجت بانتصار ديان بيان فو التاريخي، تم القضاء على 112 ألف جندي من جنود الأعداء، كما تم تحرير مناطق استراتيجية مهمة، هكذا، قضى انتصار ديان بيان فو التاريخي على خطة نافار، و هيئ الشروط للانتصار في مؤتمر جنيف.

في 26 أبريل 1954، في الوقت الذي كان فيه الجيش الفيتنامي يستعد لإطلاق موجاته الهجومية الثالثة لتقرير مصير حامية ديان بيان فو، عقد مؤتمر جنيف جلسته الافتتاحية، حيث قام الرفيق فام فان دونغ بتمثيل أمة متنصرة، الأمة الفيتنامية، أمام أمة منهزمة، الأمة الفرنسية. و في هذا السياق عقدت اللجنة المركزية للحزب دورتها العامة السادسة في يوليوز 1954، و قد وافقت الدورة العامة للمكتب السياسي على القرار بالتفاوض لإعادة السلم إلى الهند الصينية، و ذلك على أساس اعتراف فرنسا باستقلال البلاد و سيادتها و وحدة أراضيها.

بعد 75 يوما من المناقشات الحادة، و في 20 من يوليوز 1954، انتهى مؤتمر جنيف حول الهند الصينية بنجاح، فقد قبلت الحكومة الفرنسية إعادة السلم إلى الهند الصينية على أساس احترام فرنسا و البلدان الأخرى المشاركة في المؤتمر، لاستقلال الفيتنام و كمبوديا و اللاووس و سيادتها و وحدة و سلامة أراضيها، و تقرر أن تتمركز كل من قوات الجانبين وراء خط فاصل مؤقت، و تقرر كذلك أن ينظم الشعب الفيتنامي انتخابات عامة حرة في يوليوز 1956 بغية إعادة توحيد البلاد، و سوف يسحب الفرنسيون قواتهم إلى خارج الهند الصينية.

و فيما يخص الامبرياليين الأمريكيين، و رغم أنهم لم يوافقوا على البيان النهائي، اضطروا إلى أن يصدروا في خاتمة المطاف بيانا على حدة يتعهدون فيه باحترام اتفاقات جنيف حول الهند الصينية.

إن الانتصار العظيم للشعب الفيتنامي هو حصيلة زهاء قرن من نضال شعوب الهند الصينية ضد الامبريالية، وهذا الانتصار هو كذلك تتويج لتسع سنوات من المقاومة، التي خاضها الشعب الفيتنامي تحت قيادة الحزب الشيوعي الفيتنامي و القائد الشيوعي العظيم هو شي منه، و لم يكن هذا الانتصار انتصارا فقط لشعوب الهند الصينية، بل أيضا انتصارا عظيما لشعوب العالم المكافحة في سبيل الاستقلال الوطني و الديموقراطية و الاشتراكية.

قال الرفيق هوشي منه في مقال كتبه بمناسبة مرور 30 سنة على تأسيس الحزب الشيوعي الفيتنامي :

"لأول مرة في التاريخ، حقق شعب صغير و ضعيف، انتصارا على دولة مستعمرة ذات قدرة جبارة، و أنه انتصار لقوى السلم و الديموقراطية و الاشتراكية في العالم".

إذا كانت معركة ستالينغراد، التي دامت ستة أشهر (23 غشت 1942-2فبراير1943) والتي انتصر فيها الجيش الأحمر السوفياتي، هي بداية هزيمة القوات النازية والتي انتهت إلى دخول الجيش الأحمر إلى برلين ورفع العلم الأحمر فوق مقر الريشتاغ (البرلمان الألماني)، فإن الانتصار التاريخي في معركة ديان بيان فو التي دامت 55 يوما، قد أدى إلى خروج الاستعمار الفرنسي من الهند الصينية (الفيتنام، الكامبودج، اللاوس) وبداية انهيار الامبراطورية الاستعمارية العالمية بقيادة فرنسا وبريطانيا.

خلال النصف الأول من القرن العشرين، قدمت الحركة الشيوعية العالمية ملاحم كبرى للبشرية قادتها أحزاب ماركسية-لينينية كبرى في مقدمتها الحزب الشيوعي السوفياتي والحزب الشيوعي الصيني والحزب الشيوعي الفيتنامي، أحزاب قادتها أسماء خالدة من قبيل ستالين وماو وهوشي مينه وجياب.....

تمفصل الثورة الاشتراكية في الشمال والثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية في الجنوب (1954 – 1965)

خاض الشعب الفيتنامي بقيادة الحزب الشيوعي الفيتنامي معارك بطولية من 1945 إلى 1954 توجت بالانتصار العظيم في معركة ديان بيان فو الشهيرة، و رغم هذا الانتصار العظيم فإن القوى الثورية الفيتنامية في ذلك الوقت لم تكن قوية بما يكفي لتحقيق التحرير الشامل للبلاد، فاستقل الشمال بينما ظل الجنوب تحت الاحتلال و السيطرة الامبريالية الأمريكية و خدامها من العملاء، و هذا ما ألقى على عاتق الشيوعيين الفيتناميين مهمة مواصلة الكفاح من أجل تحرير الجنوب، بإنجاز الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية و العمل على تحقيق وحدة البلاد.

هكذا أصبح أمام الحزب الشيوعي الفيتنامي مهمتان استراتيجيتان مختلفتان إحداهما تخص الشمال والأخرى تخص الجنوب. هكذا أصبح الشمال المحرر الذي دشن مرحلة الثورة الاشتراكية قاعدة صلبة للثورة في الجنوب، في حين كان الجنوب يواصل مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية من أجل الإطاحة بالإمبريالية الأمريكية وخدامها اللذين يمثلون مصالح الملاكين العقاريين والرأسماليين الكومبرادور المؤيدين للاحتلال الأمريكي، ومن أجل تحرير الجنوب، وفي نفس الوقت الدفاع عن الشمال وتحقيق الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية على أرض الجنوب.

بعد خروج فرنسا من الفيتنام احتلت الامبريالية الأمريكية الجنوب، ومارست سياستها القائمة على الاستعباد والحرب بالاعتماد على إرهاب وخيانة نظام طغمة نيغو دينه دييم، وعرفت البلاد تفاقما في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، أصبحت معه حياة الشعب مهددة بخطر كبير، فتصاعد الغضب والحقد من طرف جميع الفئات الشعبية ضد الاحتلال الأمريكي وخدامه.

لقد أصبح العمال والفلاحون يفيضون بالحرارة الكفاحية، في وقت أصبحت فيه الحياة لا تطاق إلى حد كان ينبغي، من أجل الحفاظ على العيش خوض معركة كبيرة ضد نظام الاحتلال وخدامه. وفي اجتماع عقد في فبراير 1959، أشار تقرير لقادة الثورة الفيتنامية إلى أن الفيتنام الجنوبية تعيش في ظل نظام حكم استعماري جديد وشبه إقطاعي، تقوده إدارة في خدمة الإمبرياليين الأمريكيين، على رأسها طغمة رجعية ومعادية للوطن، واعتبر التقرير أن اتجاه ثورة الفيتنام الجنوبية وكذلك مهماتها يجب أن تتبع قانون الثورة العام، أي استخدام العنف الثوري لمحاربة عنف الثورة المضادة، واستثارة الانتفاضة ليظفر الشعب بالحكم. هكذا، كان الوقت قد حان لشن النضال المسلح بالتنسيق مع النضال السياسي، ولدفع الحركة الشعبية قدما إل الأمام.

على إثر قرارات هذا الاجتماع، سيشن سكان الجنوب، بعد مرحلة النضال السياسي، انتفاضات مسلحة متسلسلة، دشنتها انتفاضة بين تريه. و بالفعل، في ليلة فبراير 1960، سينتفض سكان بين تريه جميعهم، مسلحين بالهراوات و الرماح و الحراب و السواطير، و قاموا بتصفية العملاء الدمويين للإدارة الكراكوزية، مهاجمين المراكز و الحاميات، و منتزعين من العدو أسلحته، و مفككين دوائر و أقسام بأكملها من جهاز العدو للسيطرة و نظام القسر و القمع في القرى و الكومونات،

فبدأت تتشكل و تتطور القوات المسلحة الشعبية، كما تشكلت بالتدريج داخل المناطق المحررة لجان شعبية للإدارة الذاتية، و قام السكان بمصادرة أراضي الملاكين العقاريين المستبدين و عملوا عل توزيعها على الفلاحين الفقراء.

لقد دشن سكان بين تريه موجة الانتفاضات التي تدفقت على مقاطعة نان بو بأسرها وعلى هضاب تاي نغوين العليا، وكذلك في بعض مناطق ترونغ بو الوسطى. وسميت هذه الانتفاضات ب "الانتفاضات المتسلسلة"، التي كللت بالنجاح، لكونها اندلعت في اللحظة التي كان فيها العدو قد أخفق بصورة أساسية على الصعيد السياسي.

يرى القادة الفيتناميون "أن الجماهير الشعبية، التي يحدوها غضب بلغ ذروته العليا، وباستخدامها العنف الثوري، قد أطلقت هجمات متكررة وعارمة ضد أضعف حلقة في منظومة العدو، سلطته القاعدية في الأرياف. لقد أوجد نجاح "الانتفاضات المتسلسلة" قواعد تتيح تشديد الحرب الشعبية ضد العدوان الأمريكي وزعزعة الحكم الكرطوني الصوري من أساساته".

في هذه الأجواء من النهوض الثوري، اجتمع مندوبو مختلف الطبقات والأحزاب والملل الدينية والقوميات في الجنوب، وذلك في 20 يناير 1960 في موضع من منطقة نام بو الشرقية، وعقدوا مؤتمرا لتأسيس "الجبهة الوطنية لتحرير الفيتنام الجنوبية"، وقد أقر هذا المؤتمر برنامجا للعمل مؤلفا من عشر نقط كان مضمونها الأساسي يقوم على الإطاحة بالنظام الاستعماري الأمريكي وبدكتاتورية نغو دينه دييم، ولأجل بناء فيتنام جنوبية مستقلة ديموقراطية تتمتع بالسلم وتكون محايدة، وتتطور نحو إعادة توحيد الوطن.

لقد كانت السمة البارزة للوضع في جنوب الفيتنام سنة 1962 هي أن المناطق المحررة أو تلك التي كانت تحت رقابة الثوريين، كانت تزداد اتساعا. واستطاع نهج الجبهة الوطنية أن يتغلغل داخل الجماهير ليتحول إلى أعمال مقاومة لملايين الفيتناميين ضد العدوان الامبريالي الأمريكي، وفي هذه الأجواء تطورت حرب العصابات في كل مكان على نطاق واسع، وأصبح العدو الأمريكي يجد صعوبات هائلة لمواجهة حرب التحرير الوطنية في الجنوب، وبذلك أصبح يجتهد في بلورة استراتيجيات جديدة من أجل كبح جماح الثورة والقضاء عليها في الجنوب، وخلق نظام استعماري جديد موال له. هكذا ظهر ما سمي ب "القرى الاستراتيجية"، التي شكلت المضمون الأساسي لما سمي ب "خطة ستالاي- تايلور"، بل أصبحت العمود الفقري لما أطلق عليه الأمريكيون ب "الحرب الخاصة"، هكذا، شكل الأمريكيون حوالي 17 ألف "قرية استراتيجية"، محولين الفيتنام الجنوبية إلى معسكر اعتقال هائل الاتساع، وتوقعوا أنهم بذلك أصبحوا يمتلكون الشروط الملائمة للنفاذ إلى القواعد الثورية وإبادتها.

في مواجهة هذه الاستراتيجية، استندت القوى الثورية المسلحة على الدعم الجماهيري و العمل السياسي الكبير وسطها من أجل إحباط هذه الاستراتيجية، التي عارضتها الجماهير الواسعة، فكان يجري تدمير بعضها فورا بعد إنشائها، بل حتى تدميرها مرارا عديدة، فلم تترك الجماهير و القوى الثورية للعدو فرصة تعزيزها كما ينبغي، بل استطاعت الجماهير و القوى الثورية بقيادة الحزب الشيوعي الفيتنامي تحويل العديد من تلك القرى الاستراتيجية إلى قواعد لقتال العدو الأمريكي والعملاء، حيث استطاع الثوريون بمساندة الجماهير حفر مدن تحت الأرض تتصل فيما بينها، يستعملها الثوار قواعد للعمل الثوري ضد العدو، ومن خلالها تنظيم الانتفاضات و القيام بالعمل السياسي جنبا إلى جنب مع العمل العسكري،

ومن ثمة تدمير تلك "القرى الاستراتيجية"، وإفشال مشروع فصل السمكة عن الماء، الذي حاول العدو الامبريالي أن يمارسه للقضاء على القوى الثورية.

بعد سنتين مما سمي ب "الحرب الخاصة"، نتيجة الهزائم العسكرية والسياسية، فشلت خطة ستالاي- تايلور، فزادت الخلافات و التناقضات بين الأمريكيين و خدامهم من الخونة، فاضطر الأمريكيون في نونبر 1963، إلى الإطاحة ب نغو مينه دييم عبر انقلاب عسكري، وتم استبداله ب دورنغ فان مينه ثم ب نغوين خينه.

بعد فشل خطة "القرى الاستراتيجية" و "الحرب الخاصة" وضع الامبرياليون الأمريكيون خطة جديدة هدفها "تهدئة" الفيتنام الجنوبية خلال سنتين 1964 – 1965، وقد سميت تلك الخطة ب "خطة جونسون" التي تمت صياغتها في مارس 1964، ونتيجة هذه الخطة، أقيمت قيادة مختلطة فيتنامية أمريكية، وازداد عدد قوات الولايات المتحدة الأمريكية في الفيتنام الجنوبية بشكل كبير.

أمام تطور الأوضاع، واجهت الجماهير تلك المؤامرات الأمريكية الجديدة بشكل عنيف. ومن هويه وسايغون، انتشرت الحركة بسرعة بالمدن والمراكز المدينية الأخرى، هكذا، وفي 20 غشت 1964، حاصرت الجماهير في مدينة سايغون (20 ألف) "قصر الاستقلال" مطالبين بشدة باستقالة نغوين خينه، أما مدينة دانانغ فقد عرفت يوم 24 غشت تظاهرات لسكان المدينة (30 ألف) وذلك أثناء إضراب المدارس والأسواق. وفي عشرين شتنبر قام ما يفوق 100 ألف من العمال المضربين من سايغون و جيا دينه بمسيرة في الشوارع تعبيرا عن احتجاجهم، و في نونبر و دجنبر 1964، خرج سكان هويه و سايغون و دنانغ إلى الشارع مطالبين بالإطاحة بحكم تران فان هوونغ.

بفضل تطور النضال السياسي للجماهير، تطور العمل المسلح بشكل موازي، فأحرزت القوات المسلحة لجبهة التحرير الوطني في دجنبر 1964 انتصارا عظيما في بينه جيا، حيث استطاعت أن تشن لأول مرة قوات التحرير المسلحة هجوما ضد القوات النظامية العميلة خلال ستة أيام متوالية، حيث تمت التصفية الكلية لطابورين سيارين و وحدة من طائرة م – 113، و إسقاط 37 طائرة معادية. لقد كانت بينه جيا انتصارا ذا أهمية استراتيجية حكمت على استراتيجية "الحرب الخاصة" بالإفلاس.

بشكل عام، أصبح ميزان القوى يميل لصالح القوى الثورية، و أصبحت المنطقة المحررة تعرف اتساعا لتصبح مؤخرة مباشرة و وطيدة للثورة، و تطور بناء الحكم الشعبي الثوري، و بدأت تظهر ملامح نظام اجتماعي جديد، كما صودرت الأراضي التي كانت ملكا للخونة ليجري توزيعها على الفلاحين الصغار، و تنامت بسرعة قوات التحرير المسلحة، و بالمقابل تهاوت الركائز الأساسية ل "الحرب الخاصة" أي الجيش و الإدارة الكراكوزية و شبكة "القرى الاستراتيجية" و المدن، و عندما أصبحت "الحرب الخاصة" مهددة بإخفاق تام و نهائي سارعت الامبريالية الأمريكية بإرسال المزيد من القوات الأمريكية أو التابعة إلى الفيتنام الجنوبية أملا في إنقاذ جيش سايغون و الإدارة من التفكك و الانهيار، علما أن الإدارة و الجيش كانتا الدعامتان الأساسيتان لنظام الحكم الاستعماري الجديد، هكذا إذن، شكلت هزيمة "الحرب الخاصة" إخفاقا استراتيجيا للعدو الامبريالي الأمريكي، الذي حاول أن يجعل الفيتناميين يقاتلون الفيتناميين، و هو ما سمي ب "فتنمة الحرب".

بسبب هزائم العدو وانتصارات القوى الثورية، وبالرغم من التغلغل العسكري الأمريكي في جنوب الفيتنام (مئات الآلاف من الجنود) ظلت نسبة القوى لصالح حركة التحرير الوطني في الجنوب.

لقد استطاع الحزب الشيوعي الفيتنامي أن يحقق مهمتي بناء الاشتراكية في الشمال و جعله قاعدة ثورية في الجنوب، و مواصلة الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية في الجنوب حتى دحر الاحتلال الامبريالي الأمريكي و النظام الخائن الذي أقامه هناك، و قد كان بالفعل انتصارا تاريخيا لصالح الحركة الشيوعية العالمية و حركة التحرر الوطني العالمي، أظهر فيه الشعب الفيتنامي البطل قدراته الخلاقة على خوض حرب تحرير شعبية طويلة الأمد انتهت بالانتصار العظيم على أعتى قوة عسكرية و اقتصادية عالمية آنذاك، و استطاع الحزب الشيوعي أن يحقق ذلك نتيجة مجموعة من القواعد و العناصر الأساسية المحققة للنصر:

1- وجود حزب شيوعي بني على أساس قاعدة برنامجية هي قاعدة الطبقة العاملة، التي ظل مخلصا لمصالحها ومصالح الأمة، فاستطاع أن يطبق بصورة خلاقة الماركسية – اللينينية على الشروط الملموسة للبلاد، سواء بتحديد خط وسياسة صحيحة، أو في قيادة الثورة الفيتنامية من نصر إلى نصر، في نفس الوقت الذي كان فيه يصارع ضد النزعات الإصلاحية للبورجوازية والنزعات المغامرة للبورجوازية الصغيرة في الحركة الوطنية، وضد الأطروحات اليسراوية المتطرفة داخل الحركة العمالية والشيوعية وداخل الحزب.

2 – تبني الحزب للماركسية – اللينينية، الذي جعله يدرك جيدا القيمة التاريخية للفلاحين في بلد زراعي كالفيتنام، الفلاحون تلك القوة الثورية الكبرى، ليس فقط في الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية، بل أيضا في الثورة الاشتراكية، واستطاع الحزب عبر مختلف مراحل وفترات الثورة الفيتنامية أن يحل بصورة صحيحة المسألة الفلاحية ويعزز صلابة التحالف العمالي – الفلاحي.

3 – خلال المراحل المختلفة للثورة الفيتنامية، استطاع الحزب الشيوعي الفيتنامي تحقيق وحدة القوى الوطنية والتقدمية عبر بناء الجبهة الوطنية الموحدة، التي تتأسس على قاعدة التحالف الوطيد بين العمال والفلاحين.

4 – خلال مسار الثورة الفيتنامية زاوج الحزب الشيوعي الفيتنامي بين النضال ضد العدو الطبقي والنضال ضد العدو القومي، واستعمل العنف الثوري لمواجهة العنف المضاد للثورة، كما زاوج بين أسلوب الانتفاضة الشعبية وخوض الحرب الشعبية الطويلة الأمد من أجل بناء السلطة الشعبية والاحتفاظ بها، وفي كل الأحوال، كان الحزب يلجأ إلى تحديد أشكال النضال الثوري الأكثر ملاءمة بناء على تحليل ملموس للواقع الملموس. وقد أعطى الحزب الشيوعي الفيتنامي أهمية كبيرة لبناء القوات المسلحة الثورية، فاستطاع أن يستخدم وينسق بصورة خلاقة بين النضال المسلح الثوري والنضال السياسي الثوري للإطاحة بالعدو وضمان النصر، وقد بنى الحزب الشيوعي الفيتنامي القوات المسلحة الشعبية على اساس القواعد الثلاثة، التي تضم ثلاث فئات من القوات، وهي: القوات النظامية، والقوات الإقليمية ومجموعات حرب العصابات أو مليشيات الدفاع الذاتي. هكذا توحدت القوات المسلحة والقوات السياسية الجماهيرية (المنظمات السياسية المنضمة إلى الجبهة الوطنية المتحدة) لتحقق النصر.

5 – بعد الاستيلاء على السلطة، ظل الحزب يعمل على تعزيز هذا النصر وتوطيده، سواء لقمع رجال الثورة المضادة والحفاظ على النظام والأمن، وتعبئة الجماهير وتنظيمها في مقاومة العدوان الأمريكي، وصيانة الاستقلال والوحدة الوطنيين، ومن جهة أخرى لتطوير حقوق الشعب الديموقراطية، وتعبئة الجماهير وحفزها في سبيل الاشتراكية والتطوير الاقتصادي والثقافي والاجتماعي.

لقد اعتبر الحزب الشيوعي الفيتنامي أن هذه السلطة يجب أن تكون سلطة الدكتاتورية الديموقراطية الشعبية المضطلعة بالمهمة التاريخية لدكتاتورية العمال والفلاحين في مرحلتها الثورية والديموقراطية الشعبية، والمهمة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا في فترة الانتقال إلى الاشتراكية والشيوعية.

6 – لقد انخرطت الثورة الفيتنامية بقيادة الحزب الشيوعي الفيتنامي منذ بداياتها الأولى في خط الثورة العالمية الأممي معتبرة نفسها جزءا لا يتجزأ من الثورة العالمية، و من ثمة حاجتها للدعم من قبل الدول الاشتراكية و الحركة الشيوعية و العمالية الدولية و حركة التحرر الوطني و قوى السلم الديموقراطية في العالم.

كان قد مضى عل تأسيس الحزب الشيوعي الفيتنامي 45 سنة عندما انتصرت الثورة الفيتنامية في الجنوب بعد سحق القوات الامبريالية والعميلة، وتحرير مدينة سايغون، التي أصبحت تسمى مدينة هوشي مينه، وذلك سنة 1975.

إن تاريخ الحزب الشيوعي الفيتنامي، حزب الرئيس هو شي مينه تاريخ مجيد مليء بالتضحيات و البطولات، فهو تاريخ الطليعة، تاريخ هيئة أركان الطبقة العاملة الفيتنامية، التي قادت الفيتنام في النضال ضد اليابانيين و الإطاحة بالسلطة العميلة لهم، تلك الطليعة الشيوعية التي حققت ثورة غشت، و أسست جمهورية فيتنام الديموقراطية، أول دولة ديموقراطية شعبية في جنوبي شرق آسيا، كما قادت البلاد و أوصلتها إلى النصر عبر مقاومة طويلة الأمد ضد المستعمرين الفرنسيين المعتدين، فأنجزت الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية في شمال الفيتنام، فانتقل مبكرا إلى بناء الاشتراكية جاعلا من أرض الشمال قاعدة خلفية ثورية لمواصلة الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية في الجنوب، من أجل دحر العدوان الأمريكي و تحرير الجنوب و الدفاع عن الشمال و السير قدما نحو توحيد الفيتنام.

لقد حقق الحزب الشيوعي الفيتنامي انتصارا مدويا على الامبريالية الأمريكية، فانتصرت الثورة ورفع علمها فوق سايغون، بعدما انهار نظام الاستعمار الجديد العميل.

لقد تحقق كل ذلك بفضل تضحيات عشرات الألوف من الشهداء الشيوعيين والوطنيين، اللذين تحدوا الموت من أجل أن يحيى الفيتنام، فحين كان يسقط مناضل كان آخر يحل محله آخذا منه الراية، فمن أجل فيتنام ديموقراطية حرة واشتراكية كان المناضلون الشيوعيون ينطلقون موجة تلو موجة غير آبهين بالأخطار والعقبات من أجل بناء وطن ديموقراطي واشتراكي مستقل.

المحاور:

القسم الأول	2
I - الإسهامات الأساسية لكارل ماركس (1818 - 1883) و فردريك انجلز (1820 - 1895) في نظرية الحزب الثوري	**2**
تقديم	2
1) السياق العام	4
2) ماركس – انجلز والأممية الأولى و كومونة باريس	10
القسم الثاني	18
تقديم	18
I ـ الاشتراكية الديموقراطية (1883 – 1914)	**19**
1 ـ الإرث الثوري	19
2 ـ كاوتسكي و لينين حول الدور المركزي للنظرية الثورية	22
3 ـ انفجار و نهاية الأممية الثانية	25
القسم الثالث	28
I - في الصراع ضد الانتهازية والتحريفية، لينين يؤسس أول حزب ماركسي – لينيني في التاريخ (حزب من طراز جديد)	28

1) مسألة العضوية في الحزب 31
2) صراعات ما بعد المؤتمر الثاني وصدور كتاب "خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء" 32
القسم الرابع 38
I ـ الحزب البلشفي ينمو ويتصلب عبر محن الحرب العالمية الامبريالية الأولى ومعارك الثورة البروليتارية 38
1 – المؤتمر السادس وقراراته 39
2 – ستالين، وصياغة المبادئ اللينينية لحزب من طراز جديد 41
القسم الخامس 45
التجربة التاريخية للحزب الشيوعي الصيني 45
تقديم 45
I - المراحل الأساسية لبناء الحزب الشيوعي الصيني 48
1) وضع الصين قبل ولادة الحزب الشيوعي الصيني (1840 – 1921) 48
2) طفولة الحزب الشيوعي الصيني (1921 ـ 1927) 49
3) المرحلة الثانية في بناء الحزب الشيوعي الصيني (1927 ـ 1937) 51
4) المرحلة الثالثة في بناء الحزب الشيوعي الصيني (1937 ـ 1945) 53

5) المرحلة الرابعة في تأسيس الحزب الشيوعي الصيني (1945 ـ 1949) 55
6) من الديموقراطية الجديدة إلى دكتاتورية البروليتاريا (1949 ـ 1953 ـ 1956) 56
7) الطريق الرأسمالي أم الطريق الاشتراكي 1956 ـ 1966 57
II - دروس التجربة الخاصة للحزب الشيوعي الصيني في بناء الحزب الماركسي ـ اللينيني 60
III- خمسون سنة من النضال: ثمان خلاصات 63
القسم السادس 69
الحزب الشيوعي الفيتنامي وملاحم الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية في الفيتنام 69
تقديم 69
I – الرفيق نغوين أي كوك (هو شي منه) وبناء الحزب الشيوعي الفيتنامي 71
II – تأسيس حزب الطبقة العاملة الفيتنامي 74
1 – الحزب الشيوعي الفيتنامي زمن المد الثوري لسنتي 1930 – 1931 77
2 – الحزب الشيوعي في ظل القمع الرهيب 79
3 – الحزب الشيوعي الفيتنامي في ظل الحملة من أجل بناء الجبهة الديموقراطية الهند - الصينية (1936 – 1939) 81
ا- النتائج الملموسة لعمل الحزب 83

III – الحزب الشيوعي الفيتنامي والنضال من أجل حماية الاستقلال الوطني وصيانة السلطة الشعبية 1945 – 1954 .. 85

1) احتلال الفيتنام من جديد وتكتيك النضال الثوري 87

2) في الطريق إلى معركة ديان بيان فو التاريخية و مؤتمر جنيف حول الهند الصينية 95

تمفصل الثورة الاشتراكية في الشمال والثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية في الجنوب (1954 – 1965) 101